السيد عبد الكريم فضل الله

تهمة التحريف

بين المسلمين

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة
٢٠٠٤م ـ ١٤٢٥هـ

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب: ١١٣/٦٥٢٢ ـ بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

وصلى الله على سيدنا ونبيّنا وحبيب قلوبنا محمد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين. أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أرسله بقرآن كريم، وكتاب مبين، معجزة خالدة لا ريب فيه هدى للمتقين، محفوظاً إلى يوم الدين، ذلك وعد من رب العالمين : ﴿**إنا نحن نزّلنا الذكر ✲ وإنا له لحافظون**﴾.

ورغم هذا الوعد الربانيّ، فإن أصابع الفتنة تريد أن تشكك في القرآن، عماد الدين، والركن المتين، والثابت الأساس، فنسمع كلمة "تحريف القرآن"، و"نقص القرآن"، تهمة يتقاذفها المسلمون من مئات السنين، يتهم

بها بعضهم بعضاً، ليوقع بالآخر، صفة أنكرها الجميع، وتتدخل الأيادي المشبوهة لتشجع هذا الاتجاه، ويقع فيها بعض البسطاء السذّج، متوهماً أنه يدافع عن الدين وعن الإسلام، وإذا به يؤذي الدين، ويساهم ــ ولو عن غير قصد ــ بهدم هذا الركن الوثيق، فإن التهم المتبادلة ترمى جزافاً من دون تروٍّ أو تحقيق، تؤدي إلى التشكيك بالقرآن، هذا الثابت الذي لا يجوز مسّه فهو ﴿**لا ريب فيه هدىً للمتقين**﴾، وهو الحجة والبرهان والمعجزة الخالدة.

وفرق شاسع بين القرآن وبقية كتب السماء، إذ من الثابت وجداناً عدم إمكان امتداد يد اللعب والتحريف إلى القرآن، لأن حفظه واجب عقلي. فهو الحجّة والبرهان، وهو بنفسه المعجزة، وإذا وقع التلاعب بالمعجزة، فكيف يكون حجّة على الناس ودليلاً؟!

وهذا بخلاف بقية كتب السماء كالإنجيل والتوراة وغيرهما، فإنها ليست بنفسها المعجزة، بل معجزة

عيسى (ع) افعاله من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك، أما القرآن فهو بنفسه معجزة.

ومع نمو الصحوة الإسلامية المباركة، تزايدت هذه التشكيكات بالمذاهب الأخرى، وتزايدت التهم، وكأن أيدي الفتنة لا تريد للمسلمين نهوضاً واستقراراً ووحدة.

التقيت نخبة مثقفة واعية، ينتمون إلى مختلف المذاهب الإسلامية، من سنّة وشيعة، وذكروا لي واقعاً مريراً من التهم، وطلبوا كتاباً فيه بحث مختصر نافع مفيد، خفيف المؤونة، سهل القراءة، عن مسألة تحريف القرآن أو نقصه بكل موضوعية وعلمية، يرفع الشبهات ويساهم ــ ولو بالقليل ــ في إطفاء نار هذه التهم، فكان هذا الكتاب استجابة لهذا الطلب العزيز والغالي، بحثاً مختصراً علمياً خفيفاً بأسلوب سهل على القرّاء حتى غير المتخصصين في العلوم الإسلامية من فقه وأصول وتفسير وغيره.

وسررت وتألمت :

سررت لأنه لا يزال في أمتنا نخب واعية تدرك ما يحاك لها، وتتحمل مسؤوليتها أمام الله والتاريخ.

وتألمت لحال الكثير من المسلمين الذين يقعون في حبائل الشيطان، من دون أن يلتفتوا إلى ذلك، ومنهم بعض العلماء الذين نقدّر جهدهم الدراسي ومستواهم العلمي، لكنّنا نربأ بهم عن الانحدار إلى مستوى التكفير أو التضليل أو النعت لكل مَن يخالف رأيهم بالكذب، أو لكل من يروي رواية أو حديثاً يتوهم منه ـ بسبب تسرُّعه في الحكم وعدم تحقيقه في الحديث والرواية ـ يتوهم منها نقص القرآن مثلاً أو غير ذلك مما ثبت بطلانه، مما يؤدي إلى حدوث شرخ بين المسلمين، ويُفْسِد بدل أن يُصلِح، أو يكون كالتي ذكرها القرآن الكريم : ﴿**نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً**﴾ [النحل : ٩٢].

أسأل الله تعالى أن يتقبّل مني هذا الجهد المتواضع، وأن يجعله لبنة في بنيان الإسلام والمسلمين، وثواباً

وأجراً يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

السيد عبد الكريم فضل الله

فهرس البحث

وجدت أن مدار الشبهات هو هذه الروايات والأحاديث الموجودة لدى الفريقين : السنّة والشيعة، ووجدت أن محل الإشكال هو تخريج هذه الروايات التي أوردها أصحاب كتب الحديث المعتمدة لدى عامة المسلمين، وكيفية انسجامها مع مواقفهم، وذلك مثل الشيخ الصدوق — وهو إمامي — يروي بعض هذه الأحاديث ولا يعمل بها، لأنه يقول كما سترى فيما بعد : إنّ تمامية القرآن من اعتقادات الإمامية. ثم بيان الحكم الشرعي لمن يروي هذه الأحاديث، حيث خفيت هذه المسألة على بعض العلماء فضلاً عن الجهلاء.

من هنا سيكون فهرس البحث ضمن النقاط التالية :

١. ذكر بعض الأمثلة من الروايات الدالة أو المشعِرة بالنقص في كتب الحديث المعتمدة عند إخواننا من السنّة.

٢. ذكر بعض الأمثلة من الروايات الدالة أو المشعِرة بالنقص في كتب الحديث المعتمدة عند إخواننا من الشيعة.

٣. أدلة مشهور الفقهاء القائلين بعدم نقص القرآن.

٤. ما يحتمل من الأدلَّة التي توهم نقص القرآن ومناقشتها.

٥. تخريج الروايات الموهمة للنقص عند مَن لا يقول بـــه عنـــد السنّة.

٦. تخريج الروايات الموهمة للنقص عند مَن لا يقول بـــه عنـــد الشيعة.

٧. لماذا أدرج أصحاب كتب الحديث الروايات الموهمة للـــنقص مع عدم قولهم بها.

٨. هل يقتضي نقل الروايات الموهمة الكفر والكذب، فنحكم بكفر البخاري والكليني والصدوق ومسلم وغيرهم، أم لا يقتضي؟

ولنشرع بالبحث في هذه النقاط متّكلين على الله تعالى، وســـائلين منه التوفيق.

الفصل الأول

الروايات التي يتوهم منها النقص في كتب السنّة

الروايات التي يتوهم منها النقص في كتب السنّة

نذكر هنا بعض الروايات الواردة في كتب أهل السنّة، التي يظهر منها طروء النقص على القرآن.

١. روى ابن عباس أن عمر قال فيما قال، وهو على المنبر : "إن الله بعث محمداً (ص) بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها، وعقلناها، ووعيناها، فلذا رجم رسول الله (ص) ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على مَن زنى إذا أحصن من الرجال.. ثم إنّا كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : أن لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو : إنّ كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم..."[١].

---

١. صحيح البخاري، ج٨، ص٢٦، وصحيح مسلم، ج٥، ٢١١٦، بلا زيادة "ثم إنّا".

وذكر السيوطي : "أخرج ابن أشته في المصاحف عن الليث بن سعد، قال : أول مَن جمع القرآن أبو بكر، وكتبه زيد... وإن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده"[1].

يقول السيد أبو القاسم الخوئي في كتابه "البيان في تفسير القرآن" ص٢٠٢ : وآية الرجم التي ادّعى عمر أنها من القرآن ولم تُقبَل منه رويت بوجوه، منها : "إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة، نكالاً من الله، والله عزيز حكيم"، ومنها : "الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة"، ومنها : "إن الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة". وكيف كان فليس في القرآن الموجود ما يستفاد منه حكم الرجم، فلو صحّت الرواية فقد سقطت آية من القرآن لا محالة.

---

١. "الإتقان"، ج١، ص١٠١.

٢. وأخرج الطبراني بسند موثق عن عمر بن الخطاب مرفوعاً : "القرآن ألف ألف وسبعة وعشرون ألف حرف"[١]، بينما القرآن الذي بين أيدينا لا يبلغ ثلث هذا المقدار، وعليه فقد سقط من القرآن أكثر من ثلثيه.

٣. روى ابن عباس عن عمر أنه قال :

"إن الله عز وجل بعث محمداً بالحق، وأنزل معه الكتاب، فكان مما أنزل إليه آية الرجم، فرجم رسول الله ورجمنا بعده، ثم قال : كنا نقرأ : "ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم"، أو "إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم"[٢].

٤. وروى نافع أن ابن عمر قال :

---

١. "الإتقان"، ج١، ص١٢١.

٢. مسند أحمد، ج١، ص٤٧، تفسير ابن كثير، ج٣، ص٤٧٦، والدر المنثور، ج١، ص١٠٦

"ليقولّن أحدكم قد أخذت القرآن كله، وما يدريه ما كله؟ قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل : قد أخذت منه ما ظهر"[١].

٥. وروى عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت :

"كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي (ص) مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلاّ ما هو الآن"[٢].

٦. وروت حميدة بنت أبي يونس، قالت :

"قرأ عَلَيَّ أبي ــ وهو ابن ثمانين سنة ــ في مصحف عائشة : "إن الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً وعلى الذين يصلّون في الصفوف الأُوَل" قالت : "قبل أن يغيّر عثمان المصاحف"[٣].

---

١. "الإتقان"، ج٢، ص٤٠ــ٤١.

٢. المصدر نفسه، ج٢، ص٤٠ــ٤١.

٣. "الإتقان" ج٢، ص٤٠ــ٤١.

٧. وروى أبو حرب ابن أبي الأسود عن أبيه، قال :

"بعث أبو موسى الأشعري إلى قُرّاء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال : أنتم خيار أهل البصرة وقرّاؤهم، فاتلوه، ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب العرب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدّة ببراءة، فأنسيتها، غير أنّي حفظت منها : "لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب". وكنا نقرأ سورة كنّا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها، غير أني حفظت منها : "يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في أعناقكم، فتسألون عنها يوم القيامة"[١].

٨. وروى زرّ، قال :

---

١. صحيح مسلم، ج٣، ص١٠٠.

قال أبيّ بن كعب، يا زرّ "كأيّن تقرأ سورة الأحزاب؟ قلت : ثلاث وسبعين آية. قال : إن كانت لتضاهي سورة البقرة، أو هي أطول من سورة البقرة..."[1].

٩. وروى ابن أبي داود وابن الأنباري عن ابن شهاب قال :

"بلغنا أنه كان أنزل قرآن كثير، فقتل علماؤه يوم اليمامة، الذين كانوا قد وعوه، ولم يعلم بعدهم ولم يكتب..."[2].

١٠. وروى عمرة عن عائشة أنها قالت : "كان فيما أنزل من القرآن : "عشر رضعات معلومات

---

١. كنز العمال، ج٢، ص٥٦٧، ح٤٧٤٣، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢. كنز العمال، ج٢، ص٥٨٤، ح٤٧٧٨. والخلاف، للشيخ الطوسي، ج٥، ص٩٧، وكتاب آلام الشافعي، ج٥، ص٢٨، وسنن الترمذي، ج٣، ص٣٠٩، وسنن النسائي، ج٦، ص١٠٠، والسنن الكبرى للبيهقي، ج٧، ص٤٥٤، وتفسير ابن كثير، ج١، ص٤٨١، والدر المنثور، ج٢، ص١٣٥.

يُحرِّمْنَ، ثم نُسِخْنَ بخَمْسٍ معلومات"، فتوفي رسول الله (ص) وهنّ فيما يقرأ من القرآن"[1].

١١. وروى المسوّر بن مخرمة، قال :

"قال عمر لعبد الرحمن بن عوف، ألم تجد فيما أنزل علينا "أن جاهدوا كما جاهدتم أوّل مرّة"؛ فإنّا لا نجدها. قال : أسقطت فيما أسقط من القرآن"[2].

١٢. وروى أبو سفيان الكلاعي : أنّ مسلمة بن مخلَّد الأنصاري قال لهم ذات يوم :

"أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبا في المصحف، فلم يخبروه، وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك، فقال ابن مسلمة : "إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون. والذين آوَوْهم ونَصَروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله

---

١. صحيح مسلم، ج٤، ص١٦٧.

٢. الإتقان، ج٢، ص٤٢، والإيضاح للفضل بن شاذان، ص٢١٩.

عليهم أولئك لا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قُـرَّة أعـين جزاء بما كانوا يعملون"[1].

١٣. وقد نقل بطرق عديدة عن ثبـوت سـورتي الخلع والحفد في مصحف ابن عباس وأبيّ بن كعـب : "اللهم إنّا نستعينك ونستغفرك ونثني عليـك ولا نكفـرك ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصـلّي ونسجد، وإليك نسعى ونحفَد، نرجو رحمتـك ونخشـى عذابك، إنّ عذابك بالكافرين ملحق"[2].

وغير ذلك من الروايات.

---

١. الإتقان، ج٢، ص٤٢.

٢. الإتقان، ج١، ص١٢٢ـ١٢٣.

الفصل الثاني

الروايات التي يتوهم منها النقص في كتب الشيعة

الروايات التي يتوهم منها النقص في كتب الشيعة

وردت عدة روايات بعنوان التحريف ونقص أسماء الأئمة (ع)، وإليك بعضها[1] :

١. ما عن علي بن إبراهيم القمي، بإسناده عن أبي ذر، قال :

"لما نزلت هذه الآية : ﴿**يوم تبيّض وجوه وتسوَدّ وجوه**﴾ قال رسول الله (ص) : "**تَرِدُ أمّتي عليّ يوم القيامة على خمس رايات**"؛ ثم ذكر أن رسول الله (ص) يسأل الرايات عمّا فعلوا بالثقلين؛ وتقول الراية الأولى : أما الأكبر فحرّفناه ونبذناه وراء ظهورنا، وأما الأصغر فعادیناه وأبغضناه وظلمناه، وتقول الراية الثانية : أما الأكبر فحرّفناه ومزّقناه وخالفناه، وأما الأصغر فعادیناه وقاتلناه..."[2].

---

١. هذه الروايات جميعها من كتاب "البيان في تفسير القرآن" للسيد الخوئي، ص٢٢٦ و٢٣٠، وتفسير القمي، ص١٠٩.

٢. الخصال للشيخ الصدوق، ص٤٥٩، شرح الأخبار، ج، ص١٦٧، تفسير القمي، ج١، ص١٠٩.

٢. ما عن ابن طاووس والسيد المحدِّث الجزائري، بإسنادهما عن الحسن السامري في حديث طويل أن رسول الله (ص) قال لحذيفة فيما قاله في من يهتك الحرم :

"إنه يضلُّ الناس عن سبيل الله، ويحرِّف كتابه، ويغيِّر سنّتي".

٣. ما عن سعد بن عبد الله القمي، بإسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر (ع) قال :

"دعا رسول الله (ص) بمنى، فقال : أيها الناس، إني تارك فيكم الثقلين، أما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا : كتاب الله وعترتي والكعبة البيت الحرام"، ثم قال أبو جعفر (ع) أما كتاب الله فحرَّفوا، وأما الكعبة فهدموا، وأما العترة فقتلوا، وكل ودائع الله قد نبذوا، ومنها قد تبرأوا".

٤. ما عن الصدوق في الخصال بإسناده عن جابر عن النبي (ص) قال :

"يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون : المصحف، والمسجد، والعترة. يقول المصحف : يا ربّ حرّفوني ومزّقوني، ويقول المسجد : يا ربِّ، عطّلوني وضيعوني؛ وتقول العترة : يا ربِّ قتلونا وطردونا وشرّدونا...".

٥. ما عن الكافي والصدوق بإسنادهما عن علي بن سويد؛ قال :

"كتبت إلى أبي الحسن موسى (ع) وهو في الحبس كتاباً إلى أن ذكر جوابه (ع) بتمامه، وفيه قوله (ع) : "اؤتمنوا على كتاب الله فحرّفوه وبدّلوه".

٦. ما عن ابن شهراشوب، بإسناده عن عبد الله في خطبة أبي عبد الله الحسين (ع) في يوم عاشوراء، وفيها :

"إنما أنتم من طواغيت الأمّة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرّفي الكتاب".

٧. ما عن كامل الزيارات، بإسناده عن الحسن بن عطية عن أبي عبد الله (ع) قال :

"**إذا دخلت الحائر فقل : اللهم العن الذين كذبوا رسلك، وهدّموا كعبتك، وحرّفوا كتابك...**".

٨. ما عن الحجال عن قطبة بن ميمون عن عبد الأعلى، قال : قال أبو عبد الله (ع) :

"**أصحاب العربية يحرّفون كلام الله عز وجل عن مواضعه**".

٩. ما ورد من ذكر أسماء الأئمة (ع) في القرآن :

كرواية الكافي بإسناده عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن (ع) قال :

"**ولاية علي بن أبي طالب مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلاّ بنبوة محمد و"ولاية" وصيِّه صلى الله عليهما وآلهما**".

١٠. رواية العياشي بإسناده عن الصادق (ع) :

"ولو قرأ القرآن ــ كما أنزل ــ لألفينا مُسَمَّيْن".

١١. رواية الكافي وتفسير العياشي، عن أبي جعفر (ع) وكنز الفوائد بأسناد عديدة عن ابن عباس، وتفسير فرات بن إبراهيم الكوفي بأسانيد متعددة أيضاً عن الأصبغ بن نباتة؛ قالوا : قال أمير المؤمنين (ع) :

"القرآن نزل على أربعة أرباع، ربع فينا، وربع في عدوّنا، وربع سُنَنٌ وأمثال، وربع فرائض وأحكام، ولنا كرائم القرآن".

١٢. رواية الكافي أيضاً بإسناده عن أبي جعفر (ع) قال :

"نزل جبرائيل بهذه الآية على محمد (ص) هكذا : وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا ــ في عليّ ــ فأتوا بسورة من مثله".

الفصل الثالث

ما استدّل به على عدم نقص القرآن

ما استدّل به على عدم نقص القرآن

الدليل الأول :

قوله تعالى في سورة الحجر، آية ٩ : ﴿**إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون**﴾.

بتوجيه : أن المراد الحفظ من التلاعب والضياع، وصونه عن عبث الظالمين؛ فيكون ما بأيدينا هو القرآن ولم ينقص منه شيء.

وقد أشكل عليه بإشكالات منها :

أ. إن المراد من حفظ القرآن حفظه إجمالاً، فلا يمنع ضياع بعض آياته.

ويجاب بأن الضمير في "له" يعود إلى "الذكر" واللام في "الذكر" عهدية، أي إلى المعهود، وهو تمام القرآن ولا دليل على بعضه.

ب. إن المراد صيانة القرآن من القدح فيه وإبطال مضامينه العالية.

ويجاب : بأنّ القدح ومحاولات الإبطال قد وقعت كثيراً، ولكنها كانت مردودة بسبب متانة النص القرآني وقوّته ومضامينه، أي أن الصيانة كانت من القرآن نفسه لميّزاته؛ بينما نرى أنّ الظاهر من الآية أن الحفظ كان بعد التنزيل، أي أنّ الحفظ بسبب خارج عن القرآن لا بسبب نفسه.

ج. إن المراد بالذكر هو الرسول (ص) كما ورد استعمال الذكر فيه في قوله تعالى في سورة الطلاق آية ١٠و١١ : ﴿**قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلو عليكم آيات الله مُبيِّنات ليُخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور**﴾.

والجواب : ليس المراد من الذكر في آية الحفظ هو الرسول لأنها مسبوقة بقوله تعالى : ﴿**وقالوا يا أيها الذي نزّل عليه الذكر إنك لمجنون**﴾ ولا شك أن المراد من الذكر غير الرسول، ضرورة تغاير المُنزَل ــ الذي هو القرآن ــ والمنزل عليه ــ الذي هو الرسول (ص) ــ.

وحتى في سورة الطلاق فلا يظهر أن المراد من الذكر هو الرسول، أولاً لأنّ الأنسب حينئذ كان أن يقول : قد أرسل الله إليكم ذكراً بدل ﴿**قد أنزل**﴾، والرسول مُرْسَل وليس مُنْزَلاً، وثانياً وجود علاقة مجازية بين الرسول والذكر، وهي علاقة المبيِّن والمبيَّن، أو الحامل والمحمول، أو الوسيلة والرسالة، وهذه العلاقة المجازية هي المصححة لاستعمال أحدهما بدلاً للآخر[1].

وإلاّ فإن الظاهر من الذكر هو آيات الله بدليل قوله تعالى : ﴿**رسولاً يتلو عليكم آيات الله**﴾.

د. إن المراد من الذكر أعم من القرآن، بل يشمل كل وحي سواء ما كان منه في الحديث القدسي، أو

---

١. وقد ذكر علماء البلاغة في علم المعاني أنه لا بد في كل استعمال مجازي من علاقة مصحِّحة، كعلاقة المشابهة في الاستعارة في قولنا: زيدٌ أسد، أو علاقة المكان والمكين في المجاز المرسل في قولنا: اجتمع المجلس، أو علاقة الأوّل والمشارفة أو علاقة الظرف والمظروف، أو علاقة السبب والمسبَّب أو غير ذلك من العلاقات المصحِّحة للاستعمال.

الأحكام والسنّة النبوية الشريفة. وبما أن السنّة لم تصلنا كاملة، فيمكن أن يكون القرآن كذلك.

والجواب : إن هذا الاحتمال وإن كان ممكناً إلا أن الظاهر أن المراد من الذكر هو آيات الله، بقرينة قوله تعالى في سورة الطلاق في الآية الآنف ذكرها ﴿**رسولاً يتلو عليكم آيات الله**﴾، والظاهر أن المراد من آيات الله هو القرآن بقرينة ﴿**يتلو**﴾.

هـ. إن هذه الآية ــ أي آية الحفظ ــ هي نفسها قد تكون زائدة.

والجواب هو الإجماع بين المسلمين على عدم الزيادة في القرآن.

الدليل الثاني :

قوله تعالى في سورة فصّلت آية ٤١ و٤٢ ﴿**وإنه لكتاب عزيز ۞ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾.

ووجه الاستدلال أن المفرد المحلّى بلام الجنس يفيد العموم. كما لو قلت : لا تكرم الفاسق، أي كل فاسق. وهنا الباطل عام، أي كل باطل. فيشمل كل أفراده، ومنها التحريف والنقص، لأن النقص والضياع من أفراد الباطل، والنتيجة : لا يأتيه النقص والضياع.

وأُشكِل على هذا الاستدلال : أن المراد لا يأتيه الباطل، أي لا يأتيه التناقض في أحكامه والكذب في أخباره، واستشهد لذلك برواية علي بن إبراهيم القمي في تفسيره عن الإمام الباقر (ع) قال : لا يأتيه الباطل من قبل التوراة، ولا من قبل الإنجيل والزبور، ولا من خلفه، أي لا يأتيه من بعده كتاب يبطله. ورواية "مجمع البيان" عن الصادقين (ع) : "**إنه ليس في إخباره عما مضى باطل، ولا في إخباره عما يكون في المستقبل باطل**"[1].

---

١. مجمع البيان في تفسير القرآن، للشيخ الطبرسي، في تفسير الآية ٤١ و٤٢ من سورة فصلت.

ويؤيد هذا النقض سبق الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿**إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم**﴾[1] أي أنكروه، وأيضاً قوله تعالى في ذيل الآية : ﴿**تنزيل من حكيم**﴾[2]، والحكيم من يضع الأمور موضعها، ولا يتناقض في أقواله وأفعاله.

ولا أقلّ من احتمال كون ما ذكرنا قرينة متصلة على أن المراد من الباطل هو نفي التناقض في أحكامه، ونفي الكذب عن أخباره، ومع هذا الاحتمال يتعطل الظهور في إطلاق "الباطل" فتقتصر على القدر المتيقن الذي هو ما ذكرنا.

وهذه من تطبيقات مسألة ذكرت في مباحث الألفاظ في علم الأصول، ولا بد من التعريج عليها وبيانها باختصار، لأنه وإن كان استطراداً، إذ لسنا في مقام بيان مسائل أصولية، ولا يليق بهذا المختصر، ولكن من الضروري الإشارة إليها كي يكتمل توضيح المطلب.

---

١. سورة فصلت : آية ٤١.

٢. سورة فصلت، آية ٤٢.

أصالة عدم القرينة :

المراد من القرينة هو كل ما يصرف اللفظ من معنى ظاهر إلى معنى آخر، فيكون مقيِّداً. يصرف اللفظ المطلق عن ظهوره في الإطلاق إلى التقييد، أي إلى بعض أقواله وأزمانه، ومخصِّصاً ليصرف العام إلى الخاص، أي بعض أفراده، أو يصرف اللفظ الظاهر في المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، أو غير ذلك. مثلاً : رأيت أسداً، فكلمة أسد ظاهرة في الحيوان المفترس المعلوم، فإذا أردفها بكلمة "يرمي السهام" كانت هذه الكلمة قرينة على أن المراد من لفظ الأسد هو الرجل الشجاع وليس الحيوان المعلوم، فتكون هذه الكلمة قرينة صارفة من معنى إلى آخر.

وقد ذكروا في علم الأصول أن أصالة عدم القرينة تجري إجمالاً عند الشك في وجودها، وهي أصل عقلائي، أي أن الناس والبشر بما هم عقلاء عندما يَشُكُّون في وجود قرينة، يَجرون في أمورهم وكأنها غير موجودة، أي يبنون على عدمها. وللتفصيل :

القرينة تارة تكون منفصلة، كما لـــو ورد : اكـــرم العلماء، ثم بعد ذلك بفترة ورد لا تُكْرِم الفساق مـــنهم.. فتكون الجملة الثانية قرينة منفصلة تُقيِّد الأولـــى. ومـــع الشك في وجود الثانية نرى العقلاء يتعـــاملون بأصـــالة عدمها؛ وحينئذ يُكْرِمون جميع العلماء بمن فيهم الفسّاق.

وإما أن تكون متصلة، كما لو ورد : أكرم العلماء إلاّ الفسّاق، وحينئذ يتم التخصيص، ولو شككنا في وجود استثناء الفساق، لا يكون للعلماء ظهور في العموم، لأنّ العقلاء لا يتعاملون بأصالة عدم القرينة في المتصلة فلا ظهور في العموم والإطـــلاق، فنقتصـــر علـــى القـــدر المتيقن، وحينئذ نجد الناس يتوقفون فـــلا يكرمـــون إلاّ العدول ولا يكرمون الفسّاق من العلماء.

وبالجملة : أصالة عدم القرينة، أو أصالة الظهور تجري عند الشك في القرينة المنفصلة لا المتصلة.

وتطبيقاً لهذه النتيجة، فإن قوله تعالى : ﴿**إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم**﴾، وقوله تعالى : ﴿**تنزيل مـــن**

حكيم﴾ هو قرينة على أن المراد من الباطل عدم التناقض في الأحكام والكذب في الإخبار، ولو لم تكن قرينة فلا أقلّ من احتمال القرينة، فيتعطل ظهور "الباطل" في العموم والإطلاق، فلا يشمل ظهوره النقص والتحريف، ونقتصر على القدر المتيقن الذي هو عدم التناقض وعدم الكذب.

الدليل الثالث :

الروايات الدالة على التمسّك بالكتاب والعترة : **"إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض"**[1].

والاستدلال بها من ناحيتين :

---

١. تعليقة حديث الثقلين :

هذا الحديث : "إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً.." من الأحاديث المشهورة جداً عند المسلمين السنّة والشيعة حتى بلغت حدّ التواتر، وإن كان بألفاظ مختلفة، إلا أن المعنى واحد، وهذا ما يعبّر عنه بالتواتر المعنوي، أي=

=أن المعنى قد صدر عن جماعة يمتنع تواطوءهم على الكذب، وللتوضيح :

الخبر المتواتر هو ما صدر عن جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب، فهو مقطوع الصدور لذلك.

والتواتر على قسمين : تواتر لفظي وتواتر معنوي، والتواتر اللفظي هو الإخبار باللفظ نفسه، والتواتر المعنوي هو الإخبار بالمعنى نفسه مع اختلاف الألفاظ.

وقد ورد حديث الثقلين بألفاظ مختلفة منها: "**إني مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**". ومنها: "**إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي**". وفي السرائر لابن إدريس الحلي: "**خلّفت فيكم الثقلين...**".

ولا بأس بذكر بعض طرق هذا الحديث في كتب الحديث الرئيسية المعتمدة عند السنّة والشيعة :

ـ عن عبد الله بن حنطب، في "مجمع الزوائد" للهيثمي، ج٥، ص١٩٥.

ـ عن جبير بن مطعم في كتاب "السنّة" لعمرو بن أبي عاصم، ص٦١٣، وفي طبعة أخرى، ج٢، ص٦٢٧، ح١٤٦٥.

ـ عن جبار بن عبد الله الأنصاري في "المعجم الكبير" للطبراني، ج٣، ص٦٦، وفي "نوادر الأصول في أحاديث الرسول"، ج١، ص٢٥٨، وفي "سنن الترمذي"، ج٥، ص٣٢٧، ح١٣٧٨٤، و "المعجم الأوسط"،=

=ج٥، ص٨٩، ح٤٧٥٧، وفي "اعتقاد أهل السنّة"، ج١، ص٨١، ح٩٥، وفي "التدوين في أخبار قزوين"، ج٢، ص٢٦٦، وفي "تفسير ابن كثير"ن ج٤، ص١٢٣.

- وعن علي بن أبي طالب (ع) في "كنز العمال" للمتقي الهندي، ج١، ص٣٧٩، وفي كتاب "السنّة"، ص٦٣٠، وفي "مجمع الزوائد" للهيثمي، ج٩، ص١٦٣، وفي "سنن البيهقي"، ج١٠، ص١١٤.
- وعن حذيفة بن أسيد في كتاب "ما رُوِيَ في الحوض والكوثر" لابن مخلّد القرطبين ص٨٨، وفي "حلية الأولياء" لأبي نعيم الأصفهاني، ج١، ص٣٥٥، وفي "المعجم الكبير" للطبراني، ج٣، ص٦٧، وفي "نوادر الأصول في أحاديث الرسول" ص٢٥٨، وفي "مجمع الزوائد" للهيثمي، ج٩، ص١٦٤، وج١٠، ص٣٦٣، وفي "كنز العمال" للمتقي الهندي، ج١، ص١٨٨.
- وعن زيد بن أرقم في "المستدرك على الصحيحين" للحاكم النيسابوري، ج٣، ص١١٨، ح٤٥٧ وح٤٥٧٧، وفي "سنن الترمذيّ"، ج٥، ص٣٢٨، وفي "سنن الدارمي"، ج٢، ص٤٣١، وفي "السنن الكبرى" للنسائي، ج٥، ص٤٥، وفي "فضائل الصحابة" للنسائي، ج١، ص١٥، ح٤٥، وفي "رياض الصالحين" ليحيى بن شرف النووين ص٢١١، وفي كتاب "السنّة" لعمرو بن أبي عاصم، ص٦٣٠، وفي "منتخب مسند عبد بن حميد ب نصر الكسيط، ص١١٤، وفي "فضائل الصحابة" لأحمد بن حنبل، ص١٥، وص٢١، وفي "مسند أحمد بن حنبل"، ج٤، ص٣٧١، وفي "مجمع الزوائد للهيثمي"، ج٩، ص١٦١، وفي=

="المستدرك" للحاكم النيسابوري، ج٣، ص١٠٩، وفي "السنن الكبرى" للبيهقي، ج٧، ص٣٠، وفي "صحيح ابن خزيمة"، ج٤، ص٦٢، وفي "المعجم الكبير" للطبراني، ج٣، ص٦٦، وفي "صحيح مسلم"، ج٧، ص١٢٢، وفي طبعة أخرى ص١٨٧٣ و١٨٧٤، ح٢٤٠٨، وفي "كتاب الأحكام" لابن حزم، ج١، ص٧٩.

- وعن أبي سعيد الخدري في "سير أعلام النبلاء" للذهبي، ج٩، ص٣٦٥، وفي "الكامل في ضعفاء الرجال"، ج٦، ص٦٦، وفي "الطبقات الكبرى" لابن سعد، ج٢، ص١٩٤، وفي "العلل المتناهية، ج١، ص٢٦٨، ح٤٣٢، وفي "المعجم الأوسط" للطبراني، ج٣، ص٣٧٤، وفي "مسند أبي يعلى الموصلي"، ج٢، ص٢٩٧ وص٣٦٧، وفي كتاب "السنّة" لعمرو بن أبي عاصم، ص٦٣٠، وفي "مسند أحمد"، ج٣، ص١٤ وص١٧، وفي "مسند علي بن الجعد بن عبيد"، ص٣٩٧، وفي كتاب "الفردوس بمأثور الخطاب"، ج١، ص٦٦، ح١٩٤.
- وعن زيد بن ثابت في كتاب "السنّة"، ص١٢٩، بإسنادين مصنف ج٦، ص٣٠٩، ح٣١٦٧٩، و"مجمع الزوائد"، ج٩، ص١٦٢، وقال" رجاله ثقات.
- وعن أبي هريرة في "مجمع الزوائد"، ج٩، ص١٦٣، ذكره المناوي في "الفيض القدير في شرح الجامع الصغير"، ج٣، ص١٩، ح٢٦٣١، وقال : إن رواة الحديث ما يزيد عن عشرين صحابياً، وقال : هم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وقال : قال هذا الخبر يفهم وجود من يكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت والعترة في كل زمان إلى قيام الساعة،حتى يتوجه الحث المذكور إلى=

=التمسك، كما أن الكتاب كذلك، فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض.

ورواه أبي يعلى بسند لا بأس به، وقال السمهودي : وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة. وفي "مسند عبد بن حميد"، ج١، ص١٠٧، ح٢٤٠، ورواه كتاب "الضعفاء" للعقيلي، ج٢، ص٢٥٠، ترجمة ٨٠٤.

ـ وفي "تفسير ابن كثير"، ج٤، ص١١٤، قال : وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله (ص) قال في خطبة غدير خم إن الثقلين كتاب الله وعترتي.. ونقله عن الإمام أحمد بن حنبل. وأيضاً في ج٤، ص١١٤ـ١١٥، نقله عن زيد بن أرقم وجابر بن عبد الله، وقال : وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد.

ـ وذكره في "تحفة الأحوذي"، ج١٠، ص١٩٧، وذكره في "فيض القدير"، ج٣، ص١٤ و١٥.

ـ وعن ابن عمر في كتاب "السنّة" لابن أبي عاصم، ج٢، ص٦٤٤، ح١٥٥٦، وفي المصدر نفسه عن ابن عباس، ح١٥٥٧.

ـ وعن أبي ذر في "علل الدارقطني"، ج٦، ص٢٣٦، ح١٠٩٨.

ـ وروي في "الأحكام" للآمدي، ج١، ص٣٠٦.

ـ وعن ابن عباس في "سنن البيهقي"، ج١٠، ص١١٤.

ـ وروي في كتاب "البيان والتعريف"، ج١، ص١٦٤، وقال : أخرجه الإمام أحمد ومسلم وعبد بن حميد.

ـ وروي عن علي بن أبي طالب (ع)، ج١، ص١٢١، ح٢٣٧، وفي "مسند البزار"، ج٣، ص٨٩، ح٨٦٤.=

=وقد جمع في بحار الأنوار للعلامة المحدّث المجلسي مصـــادر هـــذا الحديث من عدة كتب نذكر بعض أماكن ورودها في البحار :

- بحار الأنـــوار، ج٢٣، ص١١٨، ح٣٥ و٢٦ و٣٧، وص١٢٦، ح٥٤، وص١٢٩، ح٦١، وص٣١، ح٦٤، وص١٣٢، ح٣٧، وص١٣٣، ح٦٨ و٦٩ و٧١، وص١٣٤، ح٧٢ و٧٣، وص١٣٥، ح٧٤ و٧٥، وص١٣٦، ح٧٦ و٧٩، وص١٣٧، ح٨٢، وص١٣٨ ح٨٣، وص١٤٠، ح٨٩ و٩١، وص١٤٤، ح١٠١، وص١٤٥، ح١٠٥، وص١٤٦، ح١٠٧، وص١٤٧، = = ح١١٠ و١١١، وص١٥١، ح١١٢، وص١٥٢، ح١١٣ و١١٤، وص١٥٥، ح١١٥، وص٢١٥، ح١٠، وص٦٨، ح٥. وفي جزء ٢٩، ص٣٤٠، ج٣٠، ص٦٥، وفي جزء ٣١، ص٤٦٥، وفي جزء ٣٥، ص١٨٤، ح٢، وفي جـــزء ٣٦، ص٣١٧، ح١٦٥، وفـــي جـــزء ٣٦، ص٣٢٨، ح١٨٥، وص٣٣١، ح١٩١، وص٣٢٨ ح٢٠١، وفـــي جـــزء ٣٧، ص١٢٨ وص١٣٧، ح٢٥، وفي جزء ٣٨، ص١١٨، ح٦١، وفـــي جـــزء ٤٠، ص١٥٥، ح٥٤، وفي جزء ٧٨، ص١٣٣، ح٢.
- وفي كتاب "الاحتجاج"، الجزء الأول، ص٢٦٢ وص٢٦٥.
- الكافي للكليني، ج١، ص٢٩٤.
- الانتصار للشريف المرتضى، ص٨٠.
- الكفاية للحلبي، ص٩٧.
- الخلاف للطوسي، ج١، ص٢٧.
- السرائر لابن إدريس الحلي، ج٢، ص٦٧٩.=

=ـ المعتبر للمحقق الحلي بن سعيد الحلي، ج١، ص٢٣.

ـ الجامع للشرائع ليحيى بن سعيد الحلي، ص٣.

ـ الذكرى للشهيد الأول، ص٦.

ـ مجمع الفائدة للمحقق الأردبيلي، ج٣، ص٢١٥.

ـ مسند زيد بن علي، ص٤٦٤.

ـ المبسوط للسرخسي، ج١٦، ٦٩.

ـ نضد القواعد الفقهية للسيوري، ص١٢.

ـ بصائر الدرجات للصفار، ص٤٣٢.

ـ الإمامة والتبصرة لابن بابويه القمي، ص١٥٠.

ـ دعائم الإسلام، ج١، ص٢٨.

ـ عيون أخبار الرضا (ع) للصدوق، ج١، ص٣٤-٦٨، وج٢، ص٦٠ و٢٠٨.

ـ الخصال للصدوق، ص٦٦.

ـ الأمالي للصدوق، ص٥٠٠ و٦١٦.

ـ كمال الدين وتمام النعمة للصدوق، ص٦٤ و ٢٣٤-٢٣٦ و٢٤٠ و٢٤٤.

ـ معاني الأخبار للصدوق، ص٩٠ـ٩١ عن علي بن أبي طالب (ع).

ـ كفاية الأثر للخزاز القمي، ص٨٧ و١٣٧ و١٦٣.

ـ تحف العقول للحسن بن علي بن شعبة، ص٤٢٦ـ٤٥٨.

ـ تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي، ج١، ص٢٩ [١٤٦].

ـ روضة الواعظين للفتال، ص٢٧٣.=

=ـ مختصر بصائر الدرجات للحسن الحلي، ص٩٠.

ـ وسائل الشيعة للحر العاملي، ج١، ص٢، وج١٨، ص١٩ و١٣٩.

ـ مستدرك الوسائل، ج٣، ص٣٥٥، وج٧، ص٢٥٥، وج١١، ص٣٧٤.

ـ سليم بن قيس، ص٢٠١.

ـ مسند الرضا (ع) للغازي، ص٦٨ و٢٠٦.

ـ المسترشد للطبري، ص٥٥٩.

ـ دلائل الإمامة للطبري، ص٢٠.

ـ شرح الأخبار، ج١، ص٩٩ وج٢، ص٤٧٩-٤٨١ و ٥٠٣-٥١٤، وج٣، ص١٢ وص٣٥١.

ـ كتاب الغيبة للنعماني، ص٢٩ و٤٣ و٥٥.

ـ الفصول المختارة للشيخ المفيد، ص١٧٣ و٢٢١.

ـ المسائل الجارودية للشيخ المفيد، ص٤٢.

ـ الإيضاح للشيخ المفيد، ص٢٢٣.

ـ الإرشاد للشيخ المفيد، ص٢٣٣.

ـ الأمالي للشيخ المفيد، ص٢١ و١٣٥.

ـ التعجب للكراجكي، ص٦٥.

ـ الأمالي للشيخ الطوسي، ص١٦٣ و٢٥٥ و٥٤٨.

ـ الاحتجاج للطبرسي، ج١، ص٩٠ و١٩١ و٢١٦ و٣٩١، وج٢، ص١٤٧ و٢٥٢.

ـ كشف المحجة لثمرة المهجة لابن طاووس، ص٥٢ و٧٦.

ـ سعد السعود، ابن طاووس، ص٦٤ و١٣٠.

ـ الطرائف، ابن طاووس، ص١١٤ـ١١٦.=

الأولى : إن كلمة "**كتاب الله**" ظاهرة في جميع الكتاب، وكلمة "**تارك**" ظاهرة في تحقق وجود الكتاب والعترة، فإذا ضاع بعض الكتاب، فكيف يمكن التمسّك به؟ والأمر بالتمسك لعموم المسلمين، مع العلم أن التمسّك لا يعني المحبة والاحترام فقط، بل الالتزام وعدم المخالفة، لأن التمسّك بالقرآن لا يعني أن نحترمه ثم نخالفه، والكتاب والعترة لهما حكم واحد وسياق واحد.

=ـ ميزان الحكمة، ص١٣٠ و٥٩٤.

ـ شرح ابن أبي الحديد، ج٩، ص١٣٣.

ـ تفسير أبي حمزة الثمالي، ص٥ و١٣٧ و٤٢١.

ـ تفسير القمي، ج١، ص١٧٣، وج٢، ص٣٤٥.

ـ تفسير التبيان للطوسي، ج١، ص٣ و٥، ج٩، ص٤٧٤.

ـ فقه القرآن، الراوندي، ج١، ص٦٣.

ـ تفسير ابن كثير، ج٤، ص١٢٢.

وهناك أكثر منها، ومن أراد المزيد فليراجع كتاب "بحار الأنوار"، أو يراجع س.د. كومبيوتر نور٢.

الثانية : إن القول بالنقص يقتضي سقوط الكتاب عن الحجية، لعدم جواز التمسّك بظواهره، وذلك لاحتمال وجود قرائن على خلاف الظواهر ضمن المحذوف، فتكون القرينة المحتملة قرينة متصلة، وقد بيّنا آنفاً أن أصالة عدم القرينة وأصالة الظهور لا تجريان مع احتمال القرائن المتصلة، فترتفع حجية الظهور بالنسبة لظهورات القرآن، مع العلم أن القرآن حجة علينا بما نفهمه منه.

ولعمري، إنه ــ بنظري ــ من أقوى الأدلة.

فائدة استطرادية : لما كان ظهور لفظ الترك يقتضي تحقق المتروك خارجاً بأكمله، استقام الأمر في رواية "كتاب الله وعترتي أهل بيتي"، لأن العترة الطاهرة قد وجدت بعد الرسول بأكملها، وهذه الرواية هي المشهورة جداً بين المسلمين. ويُشْكِل الأمر فيما روي "**كتاب الله وسنتي**" لأن السنّة لم تصلنا كاملة، فكيف يترك الرسول أمراً ناقصاً يجب التمسّك به،

ويكون حجة علينا؟! خصوصاً مع كثرة الوضّاعين بعد رسول الله (ص) كما ورد في الحديث. كما أن حديث "كتاب الله وسنّتي" على فرض صحته يعيدنا بدوره إلى العترة الطاهرة، ويأمرنا بالتمسّك بها، لأن حديث "**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي**"من السنَّة، لأن سنّة النبي (ص) هي فعله أو قوله أو تقريره، فكل ما صح أن رسول الله (ص) قاله هو من السنّة، وحديث "**وعترتي أهل بيتي**" صح عن رسول الله (ص)؛ فهو من السنَّة.

الدليل الرابع :

لقد أمر أهل البيت (ع) بقراءة سورة تامة بعد الفاتحة في الركعتين الأوليين من الفريضة، وأجازوا تقسيم سورة تامة أو أكثر في صلاة الآيات، وجعلوا للمكلَّف اختيار أية سورة تامة من القرآن الذي بين أيدينا؛ وهذا يقتضي أن السُّوَر الموجودة تامة، وإلاّ ــ فمع احتمال النقص ــ ما جاز اختيار أية سورة، بل يجب اختيار سورة لم يقع فيها النقص قطعاً، كسورة

التوحيد، وذلك لقاعدة : الاشتغال اليقيني يستدعي الفراغ اليقيني، فما دامت ذمّتي مشغولة بقراءة سورة تامة، يجب عليّ اختيار سورة أعلم بتماميتها كي تفرغ ذمّتي.

وهذا يدل على أنّ كل سور القرآن تامة.

وقد أشكل على هذا الدليل : أن جواز قراءة أية سورة قد ورد بعد النقص، تسهيلاً على المكلّفين وترخيصاً من الأئمة (ع)، أي بِجَعْلٍ وإذنٍ منهم.

وأجيب : بأن لا معنى لهذا الترخيص، لأنه بلا سبب بعد إمكانية قراءة سورة كاملة، وذلك بتمييز السور الكاملة من غيرها، بأن يبيّن الإمام (ع) السور الكاملة والسور الناقصة.

ويَرِدُ على هذا الجواب : إمكانية وجود مصلحة في قراءة الناقص، وذلك كي لا تنحصر القراءة في سور قليلة، مثلاً، يتدارك بهذه المصلحة مصلحة الواقع. وبهذا لا يكون هذا الدليل دليلاً تاماً.

تنبيه واستنتاج :

يظهر من هذه الأدلة أن القول بأن القرآن هو ما بأيدينا مما بين الدفتين، رغم وضوحه بحيث أنه لا يحتاج إلى دليل، ورغم اتفاق علماء المسلمين من شيعة وسنّة عليه، حتى يكاد يكون إجماعاً، ولكنه بسبب التشويش الذي حصل صار يحتاج إلى استدلال، وخرج عمّا نسمّيه ضرورياً باصطلاح الفقهاء، فيكون مسألة ثابتة.

ومعنى الضروريّ :

هو ما يؤدّي إنكاره إلى إنكار الرسالة وتكذيب الرسول (ص)، وذلك كإنكار وجوب الصلاة في الإسلام، فإنه إذا أنكرت بأن قلت : ليس في الشرع الإسلامي صلاة، تكون قد كذّبت القرآن : ﴿**أقيموا الصلاة**﴾، والرسول (ص) حيث يقول : "**صلّوا كما رأيتموني أصلّي**"، وإجماع المسلمين وسيرتهم القطعية. فإن وجوب الصلاة بديهة لدرجة أن إنكاره كأنه إنكار

لرسالة رسول الله (ص)، وتكذيب لـــه. ألا تـــرى أن لا أحد يستدل على وجوب الصلاة في الإسلام، وذلك لعدم الحاجة إلى الدليل، بـــل وجـــوب الصـــلاة ضـــروريّ وبديهي.

بينما نرى أن تمامية القرآن قد احتاج إلى دليل ولو بسبب التشويش، إذ لولا هذا التشويش الـــذي حصـــل، وهذه الاتهامات التي رمى بها بعضٌ بعضاً، لمـــا كنـــا بحاجة إلى الاستدلال، فإن هذه الأدلة ــ وإن كانت أقوى من أدلة النقص ــ أدّت إلى شـــهرة القـــول بالتماميـــة وشذوذ القول بالنقصان.

فَلْنَكُنْ على ذُكرٍ من هذا، فإننا سنستفيد منـــه بعـــد قليل عند الكلام على حكم القائل بالنقص.

الفصل الرابع

ما يحتمل من الأدلة التي توهم نقص القرآن ومناقشتها

أدلة من توهم نقص القرآن ومناقشتها

الدليل الأول:

إن التحريف قد وقع في التوراة والإنجيل، وقد ورد في الروايات المتواترة من طرق السنّة والشيعة أن كل ما وقع في الأمم السالفة لا بد وأن يقع مثله في هذه الأمّة. فعن رسول الله (ص) : "**كل ما كان في الأمم السالفة فإنه يكون في هذه الأمّة مثله، حذو النعل بالنعل، والقذّة بالقذّة**"[1]، وكل تفيد العموم، ومما وقع فيمن سَلَفَنا من الأمم تحريف الإنجيل والتوراة، فسيقع مثله في القرآن.

وأشكل عليه السيد الخوئي (ره) بعد عدم تواتر[2] هذه الروايات :

---

١. البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي، ص٢٠.

٢. والخبر المتواتر هو الخبر القطعي الصدور، بسبب صدور الخبر عن جماعة يمتنع اجتماعهم على كذب.

أولاً : إن هذا يأتي في الزيادة أيضاً، كما زيدَ في التوراة والإنجيل، والزيادة لم تقع في القرآن إجماعاً.

وثانياً : الوقائع تكذِّب إطلاق وعموم الروايات، فلم يقع في هذه الأمّة تيه أربعين سنة، ولم تمسخ إلى قردة وخنازير وغير ذلك.

فلا بد أن المراد هو الشبه من بعض الجهات، وقد روى الترمذي عن أبي واقد الليثي : أن رسول الله (ص) لما خرج إلى حنين مرّ بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط، يعلِّقون عليها أسلحتهم. فقالوا : يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال النبي (ص) : "**سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى : اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة. والذي نفسي بيده لتركبنَّ سنّة مَن كان قبلكم**"[1].

---

١. الجامع الصحيح، سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ١٨، ج٤، ص٤٧٥، وسنن الترمذي، ج٣، ص٣٢١، ح٢٢١٧، باب "لتركبن سنن من كان قبلكم".

وواضح أن التشبيه في هذه الرواية من بعض الوجوه لا في جميع الوجوه، ولا دليل على شمولها لمثل النقص والتحريف الذي حدث في كتب الأمم السابقة.

الدليل الثاني :

إن علي بن أبي طالب (ع) كان لديه مصحف غير المصحف الموجود بين أيدينا، وأن فيه آيات غير مذكورة فيه.

وقد يتوهم أنَّ هذا مضمون عدة روايات، نذكر منها احتجاج علي (ع) على جماعة المهاجرين والأنصار :

"يا طلحة، إن كل آية أنزلها الله تعالى على محمد (ص) عندي بإملاء رسول الله (ص) وخطّ يدي، وتأويل كلّ آية أنزلها الله تعالى على محمد (ص)، وكل حلال، أو حرام، أو حدّ، أو حكم، أو شيء تحتاج إليه

الأمّة إلى يوم القيامة، فهو عندي مكتوب بإملاء رسول الله (ص) وخط يدي حتى أرش الخدش..." [1].

ويشكل عليه :

بأن هذه الرواية ليست ظاهرة في أن ما عند علي (ع) في مصحفه هو قرآن منزل، فإن المصحف مجموعة صُحُف، أي أوراق، كتب فيها عليّ (ع) إملاء رسول (ص) من آية أو تأويل أو حكم، وقد اشتهر عنه (ع) أنه قال: "**علّمني رسول الله (ص) ألف باب من العلم، ينفتح لي من كل باب ألف باب**"، بل هي نص على أنّ مصحف عليّ يشتمل على أحكام ليست موجودة في لفظ التلاوة كالتأويل وأرش الخدش، فإن التأويل ليس من التنزيل قطعاً، فالظاهر من الحديث المذكور وأمثاله أن الزيادات في مصحف علي (ع) كانت عبارة عن تفاسير للآيات القرآنية الموجودة بعنوان التأويل، أو ما

---

١. مقدمة تفسير البرهان، ص٢٧. وفي نسخة كومبيوتر جامع الأحاديث نور ٢، وعن كتاب سليم بن قيس، ص٢١١، تحقيق الشيخ محمد باقر الأنصاري، الاحتجاج للطبرسي، ج١، ص٢٢٢.

يؤول إليه الكلام أو بعنوان التنزيل من الله تعالى شرحاً للمراد من الآيات القرآنية، فليس هناك قرآن خاص لعليّ، ونفس الكلام يأتي في مصحف فاطمة (ع)، فقد ذكرنا أن معنى المصحف هو مجموعة صحف وليس القرآن، وهذه الصحف يكتب عليها أحكام أو تفسير أو تأويل أو غير ذلك.

وسيأتي الكلام في آخر الكتاب في فقرة خاصة عن مصحف فاطمة والجفر والجامعة.

الدليل الثالث :

الروايات التي مرّت في أوّل البحث والتي تُوهِّم منها وقوع النقص في القرآن عند الشيعة، وهي صنفان : صنف بلفظ التحريف، وآخر بحذف أسماء الأئمة (ع) من القرآن.

والجواب عن الصنف الأول :

أن المراد من التحريف هو تحريف المراد من الآيات، بحيث يَنْصَبُّ لمصلحة الحكّام والظالمين من

تركيز حكمهم وإنكار فضل أهل البيت (ع). ويدلّ على أن التحريف هو بهذا المعنى، لا بمعنى تحريف التلاوة نقصاً أو زيادة، رواية الكافي عن الإمام الباقر (ع) :

"**وكان من نبذهم الكتاب أنهم أقاموا حروفه، وحرّفوا حدوده**".

وهذه الرواية واضحة في أن التلاوة لم تحرَّف "**أقاموا حروفه**"، وأن التحريف كان في المراد "**حرَّفوا حدوده**".

وانظر تتمة الرواية : "**فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية، وكان من نبذهم الكتاب أن ولّوه الذين لا يعلمون فأوردوهم الهوى، وأصدروهم وغيَّروا عرى الدين...**" [1].

وانظر كلمة "**ولّوه الذين لا يعلمون**" فهؤلاء الذين لا يعلمون هم الذين حرّفوا المراد من القرآن بما يهوون

---

١. س.د. كومبيوتر جامع الأحاديث، نور٢، انظر كلمة : "حرفوا"..

أو بما يهوى سلاطينهم، وفيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿**فإما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به...**﴾ [آل عمران : ٧].

ويؤيده ما ورد في كيفية زيارته (ص) : "**وحرّفوا آيات القرآن، وهملجوا في البغي والعدوان، لقد أصبح رسول الله (ص) من أجلك موتوراً، وعاد كتاب الله مهجوراً، وغودر الحق...**" [١].

وإليك بعض الأمثلة لتحريف المراد من القرآن :

مثال : تحريف معاوية بن أبي سفيان لمعنى القضاء، ليُثبِّت حكم ولده يزيد، ونعلم أن قضاء الله تعالى ورد كثيراً في القرآن والسنّة، ﴿**فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون**﴾[٢]. وغيرها كثير، وانظر

---

١. نسخة من س.د. كومبيوتر، جامع الأحاديث، نور٢.

٢. غافر : ٦٨.

كيف استخدمها معاوية لخدمة مأربه في إيصال يزيد ابنه للحكم :

عندما سألت أم المؤمنين عائشة معاوية عن سبب تنصيبه ولده يزيد خليفة على رقاب المسلمين، وهو يعلم جيداً خطورة موقع الخلافة في الإسلام وأهميته القصوى في حياة المسلمين، كما أنه يعلم أن يزيد شارب للخمور، مرتكب للفجور، ملعب القردة، طائش، عاصٍ، ظالمٌ، فاجرٌ، يشتمل على كثير من الصفات المشينة، أجابها :

"إن أمر يزيد قضاء من القضاء، وليس للعباد الخيرة من أمرهم"[١].

وبهذا أيضاً أجاب معاوية عبد الله بن عمر عندما استفسر من معاوية عن سبب تنصيبه يزيد خليفة ومتسلطاً على الناس يقول :

---

١. "لو بايع الحسين"، للسيد عبد الكريم فضل الله، ص٧٥، نقلاً عن كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيبة، ج١، ص٢٠٥..

"إني أحذرك أن تشق عصا المسلمين، وتسعى في تفريق ملئهم، وان تسفك دماءهم، وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء، وليس للعباد خيرة من أمرهم"[1].

فانظر كيف حرّف معاوية معنى القضاء إلى ما يناسب مأربه، وهنا قد حرّف المراد من القرآن، ولم يحرِّف التلاوة.

مثال آخر : انظر إلى يزيد بن معاوية كيف حرَّف المراد من قوله تعالى : ﴿**قل اللهم مالك الملك ❋ تؤتي الملك مَن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز مَن تشاء وتذل مَن تشاء ❋ بيدك الخير إنك على كل شيء قدير**﴾[2].

يزيد بن معاوية، سلطان المسلمين في زمنه، والجالِس على كرسي الخلافة، وقد أدخلوا رأس الحسين (ع) مخاطباً الناس : متمثِّلاً الحسين (ع) :

---

١. "لو بايع الحسين"، للسيد عبد الكريم فضل الله، ص٧٥، نقلاً عن كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيبة، ج١، ص٢٠٥.

٢. آل عمران : ٢٦.

"أتدرون من أين أُتي هذا؟" (يعني الحسين (ع)) قالَ : **"أبي عليّ خير من أبيه، وأمي خير من أمه، وجدّي رسول الله (ص) خير من جدِّه، وأنا خير منه، وأحق بهذا الأمر منه"**.

ثم استمر يزيد مجيباً، فأما قوله : "أبي عليّ خير من أبيه" فقد حاجّ أبي أباه وعلم الناس أيّهما حُكِم له. وأما قوله "أمي خير من أمه" فلعمري فاطمة ابنة رسول الله (ص) خير من أمي، وأما قوله : "جدي خير من جده"، فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عِدلاً ولا ندّاً. ولكنه أُتِيَ من قِبَل فقهه، ولم يقرأ : ﴿**اللهم مالك الملك تؤتي الملك مَن تشاء ❋ وتنزع الملك ممن تشاء ❋ وتعز مَن وتذل مَن تشاء ❋ بيدك الخير إنك على كل شيء قدير**﴾[1].

وليت شعري، هل أراد الله تمليك فرعون وهامان والنمرود ونيرون على رقاب الناس، وإذا أراد تمليكهم،

١."لو بايع الحسين" للسيد عبد الكريم فضل الله، ص٨٦، نقلاً عن تاريخ الطبري، أحداث سنة ٦١، ج٣، ص٣٤٠.

فلماذا طلب من الأنبياء كإبراهيم وموسى (ع) الثورة ضدهم، والجرأة في مواجهتهم، طالبين إحقاق الحق وإنصاف المظلومين؟! إنه تحريف من يزيد بن معاوية للمراد من آية المشيئة بما يخدم أغراضه ومرامه، وهو تركيز ملكه وكأن هذا الملك مشيئة إلهية، وتخدير الناس بحيث لا يتحرك أحد ضدّه لأنَّ أيَّة حركة ضده فهي حركة ضد المشيئة الإلهية، وهي تؤدي إلى نار جهنم، وإطاعته طاعة لله، حتى لو ظَلَم، والصبر على ظلمه فيه ثواب.

ولتدعيم هذا الرأي، اخترعوا له أحاديث كثيرة وحرّفوا المراد من عدة آيات، وللإطلاع على هذه المسألة فلا بأس بمراجعة كتاب "لو بايع الحسين"[1]، وفيه بيان لمعنى الآية وكيفية تحريفهم لمعناها والمغالطة فيها.

---

١. "لو بايع الحسين" كتاب للمؤلف يبحث فيه جذور حركة الحسين (ع) والغاية منها.

هذه بعض الأمثلة على تحريف المراد من القرآن، وعلى هذه فقس ما سواها. وهنالك أمثلة كثيرة على ذلك، ولولا هذا التحريف لما ظُلمت العترة الطاهرة، ولَمَا حدثت المعارك بين المسلمين أنفسهم، ولما سفكت دماء بريئة، ولما كان هناك غني وفقير، وجائع ومُتْخَم، ولما تراجع المسلمون، ولما ضعفوا، ولما استباحت جيوش الظلم والكفر ديار الإسلام.. ولما.. ولما..

نعم، لقد اهتم كثير من المسلمين بالقرآن، من حيث الشكل، رَسْماً وصورةً وتجويداً وترتيلاً وتزييناً، وغير ذلك، نعم، لقد أقاموا حروفه، ولكنهم حرّفوا حدوده.

الصنف الثاني الذي ورد فيه التحريف هو ما روي من حذف أسماء الأئمة (ع).

والجواب :

إن التنزيل، كما ذكرنا، على أنحاء متعددة، فمنها القرآن، ومنها السنّة النبوية التي هي وحي من الله تعالى، ومنها الأحاديث القدسية، ولذا، فلا مانع من أنّ

بعض تفاسير القرآن قد نزل على نبينا محمد (ص)، وكانت نبوة محمد (ص) وولاية علي (ع) تنزيلاً على الأنبياء، وكتبت في صحفهم، كما أنّ أسماء الأئمة (ع) نزلت وحياً، تفسيراً لبعض آيات القرآن.

ويدلّ على هذا الحمل للروايات الذاكرة لحذف أسماء أهل البيت (ع) صحيحة الكافي المروية عن أبي بصير : قال :

"سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله تعالى : **﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** قال : فقال (ع) : **نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين (ع)**، فقلت له : إن الناس يقولون : فما له لَمْ يسمِّ علياً وأهل بيته في كتاب الله. قال (ع) : **فقولوا لهم إن رسول الله (ص) نزلت عليه الصلاة ولم يسمِّ لهم ثلاثاً، ولا أربعاً، حتى كان رسول الله (ص) هو الذي فسّر لهم ذلك**"[1].

---

١. الوافي، ج٢، ما نص الله ورسوله عليهم، ص٢٦٩، وورد أيضاً في الكافي، ج١، ص٢٨٦، ح١، وفي تفسير فرات الكوفي، ص١١٠.

وكأن الإمام الصادق (ع) يريد أن يقول لنا أنه ليس كل تنزيل قرآناً، بل قد يكون وحياً أنزل على الرسول كما يقول تعالى : ﴿**وما ينطق عن الهوى ۞ إن هو إلا وحي يوحى**﴾[1].

لقد أنزل الله وجوب الصلاة في القرآن تلاوة ﴿**أقيموا الصلاة**﴾ وأما تفاصيلها في عدد الركعات والأجزاء والشرائط، فقد نزلت وحياً، وبُيِّنت في سنّة رسول الله (ص) قولاً أو فعلاً أو تقريراً، وكذلك الزكاة نزلت تلاوة : ﴿**وآتوا الزكاة**﴾ وتفاصيلها من وجوب النصاب وما تجب فيه وأقسامها وغير ذلك بيّنتها السنّة النبوية الشريفة.

وعلى هذا، فإن رواية الكافي التي ذكرناها موضحة للمراد من تلك الروايات التي تفيد بأن أسماء الأئمة وردت في التنزيل، فالمراد من التنزيل غير القرآن، وذلك أن هذه الرواية ــ وهي صحيحة ــ

---

١. النجم : ٣.

صريحة في عدم وجود أسماء الأئمة في القـرآن، بـل أوحي إلى النبي الأكرم (ص) بأسمائهم وبيّنـا أن لـيس كل وحي قرآناً.

الفصل الخامس

تخريج الروايات التي يتوهم منها النقص عند مَن لا يقول به عند السنّة

تخريج الروايات التي يتوهم منها النقص عند مَن لا يقول به عند السنّة

ذهب الكثير من علماء السنّة إلى جواز نسخ التلاوة، وليس هنا مقام بيان هذه النقطة وكيفية الاستدلال وجواب علماء السنّة والشيعة على القول بنسخ التلاوة، إلا أنّ القائلين بعدم تحريف القرآن وعدم نقصه من أهل السنّة حملوا روايات النقص التي مرّ ذكرها في صدر البحث على نسخ التلاوة، ونقول إنّ هذا الحمل غير تام؛ وقبل بيان عدم التمامية لا بدّ من مقدمة، وهي أن نسخ الكتاب لا يتم بخبر الواحد[1].

---

١. الخبر على قسمين، متواتر وآحاد :

الخبر المتواتر هو ما رواه جماعة يمتنع تطابقهم على الكذب، فيكون مقطوع الصدور في حال كانت كل طبقات رواة الخبر على هذا النحو.

وأما خبر الواحد، فهو ما لم يصل حد التواتر، فلا يكون مقطوع الصدور، إلاّ إذا كان محفوفاً بقرائن تورث القطع، وبدونها تكون حجيته واعتباره بحاجة إلى دليل.

فقد اتفق العلماء أجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد، وقد صرّح بذلك جماعة في كتب الأصول وغيرها[1]؛ بل قطع الشافعي وأكثر أصحابه وأكثر أهل الظاهر بامتناع نسخ الكتاب بالسنّة المتواترة، وإليه ذهب أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه، بل إنَّ جماعة ممن قال بإمكان نسخ الكتاب بالسنّة المتواترة منع وقوعه نذكر هنا بعض الأمثلة من أقوال عدد من علماء الأصول :

ـ يقول الزرقاني : "أما الوقوع ـ أي وقوع نسخ القرآن بالسنّة المتواترة ـ فقد اختلف المجوزون فيه : منهم مَن أثبته ومنهم مَن نفاه.. يخلص لنا أن نسخ القرآن بالسنّة لا مانع يمنعه عقلاً ولا شرعاً، غاية الأمر أنه لم يقع لعدم سلامة أدلّة الوقوع كما رأيت"[2].

---

١. الموافقات لأبي إسحاق الشاطبي، ج٣، ص١٠٦، طبعة المطبعة الرحمانية بمصر.

٢. مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، ج٢، ص١٤٠، طبعة ١٩٩١، مؤسسة التاريخ العربي.

ـ ويقول أبو محمد القيسي في الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه : "ومنع من ذلك ـ أي نسخ القرآن بالسنّة المتواترة ـ جماعة (وقالوا) : أنه لا يجوز نسخ شيء من القرآن إلاّ بقرآن مثله"[1].

ـ ويقول الدكتور أحمد فرّاج حسين : "جمهور العلماء على أنه لا يجوز نسخ القرآن أو السنّة المتواترة أو السنّة المشهورة بخبر الآحاد"[2].

فنقول :

أولاً : إن بعض الروايات لا يمكن حمله على نسخ التلاوة مثل رواية قتل علماء القرآن يوم اليمامة، وقد ذكرناها في صدر البحث :

---

١. الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص٧٩ـ٨٠، دار المنارة، طبعة أولى ١٩٨٦.

٢. أصول الفقه الإسلامي، د. أحمد فرّاج حسين، طبع ١٩٩١، الدار الجامعية.

"بلغنا أنه كان أنزل قرآن كثير، فقتل علماؤه يوم اليمامة، الذين كانوا قد وعوه، ولم يعلم بعدهم ولم يكتب.."[1].

انظر إلى كلمة "ولم يعلم بعدهم ولم يكتب.." فهي واضحة في السقوط لا في النسخ، ونعلم أن يوم اليمامة كان بعد رسول الله (ص)، والرواية الناسخة لا بدّ أن تكون من سنّة رسول الله (ص).

وانظر كلمة "فلما كتب عثمان المصاحف" في رواية عروة ابن الزبير عن عائشة قالت : "كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي (ص) مايتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن"[2]. وهذه الرواية واضحة في أن التغيير حدث في زمن عثمان.

---

١. كنز العمال، ج٢، ص٥٨٤، ح٤٧٧٨، وفي الإيضاح، ص٢١٨، للفضل ابن شاذان، متوفى سنة ٢٦٠ هجرية، وفي الدر المنثور، ج٥، ص١٨٠، (متوفى سنة ٩١١)، أخرجه أبو عبيد في الفضائل وابن الأنباري وابن مردويه.

٢. الإتقان، ج٢، ص٤٠ــ٤١.

كذلك رواية حميدة بنت أبي يونس : "قرأ عليَّ أبي ــ وهو ابن ثمانين سنة ــ في مصحف عائشة : إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً، وعلى الذين يصلّون في الصفوف الأولى. قالت : قبل أن يغيِّر عثمان المصاحف". وقد ذكرنا هذه الرواية في صدر البحث كذلك سابقاتها. وهذه الروايات وغيرها تأبى كما ترى أن تحمل على نسخ التلاوة.

وثانياً : إن نسخ التلاوة لا يتم ــ على القول بإمكانه ــ إلا بالخبر المتواتر القطعي الصدور، إجماعاً، كما بيّنا آنفاً، وهذا النسخ إما أن يكون في زمن رسول الله (ص)، وإما أن يكون بعده. فإن كان في زمن رسول الله (ص) فإنه لم يصلنا سوى أخبار آحاد ظنيّة الصدور، بل ظنيّة الدلالة أيضاً.

وإن كان بعد رسول الله (ص)، أي ممن تصدّى لإدارة شؤون المسلمين بعده، فهو حذف متعمد وتحريف واضح للقرآن، وهو مرفوض رفضاً باتاً.

الفصل السادس

تخريج الروايات التي يتوهم منها النقص عند من لا يقول به عند الشيعة

تخريج الروايات التي يتوهم منها النقص عند من لا يقول به عند الشيعة

المعروف بين علماء الشيعة عدم وقوع التحريف والنقص في القرآن، وأن الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم (ص)، وقد صرّح بذلك كثير من الأعلام :

منهم رئيس المحدثين الصدوق محمد بن بابويه، وقد عدّ القول بعدم التحريف من معتقدات الإمامية، ومنهم شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، وصرّح بذلك في أوّل تفسيره "البيان" ونقل القول بذلك أيضاً عن شيخه علم الهدى السيد مرتضى، واستدلاله على ذلك بأتم دليل. ومنهم المفسّر الشهير الطبرسي في مقدمة كتابه "مجمع البيان"، ومنهم شيخ الفقهاء الشيخ جعفر في بحث القرآن من كتابه "كشف الغطاء"، وادّعى الإجماع على ذلك، ومنهم العلاّمة الجليل الشهشهاني في

بحث القرآن من كتابه "العروة الوثقى"، ونسب القول بعدم التحريف إلى جمهور المجتهدين؛ ومنهم المحدِّث الشهير المولى محسن القاساني في كتابيه[1]، ومنه بطل العلم المجاهد الشيخ محمد جواد البلاغي في مقدمة تفسيره "آلاء الرحمن"[2].

هؤلاء صرّحوا بأن الإجماع أو المعروف هو عدم التحريف في القرآن، وآخرون كثيرون صرّحوا بعدم النقص.

نعم، لقد عرف عن علماء الشيعة رفضهم لفكرة التحريف بكل أشكالها، ونشير إلى تصريحاتهم بعض كبار علمائهم وفقهائهم في مؤلفاتهم :

أ. الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت٣٨١) :

---

١. الوافي، ج٥، ص٢٧٤، وعلم اليقين، ص١٣٠.

٢. البيان للسيد الخوئي، ص٢٠٠.

"اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد (ص) هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك.. قال : ومَن نسب إلينا أنا نقول أنه أكثر من ذلك، فهو كاذب"[1].

ب. الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣) :

"وقد قال جماعة من أهل الإمامة : أنه لم ينقص من كلمة، ولا من آية، ولا من سورة، ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين (ع) ــ وهي مجموعة أوراق كان يكتب فيها تفسير الآيات وتأويلها ــ من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً منزلاً، وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز، وقد يسمّى تأويل القرآن قرآناً.. قال : وعندي أن هذا القول أشبه من مقال من ادعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل وإليه أميل.

---

١. اعتقادات الإمامية، المطبوع مع شرح الباب الحادي عشر، ص٩٣ــ٩٤، واعتقادات الشيخ المفيد، ص٨٤.

قال : وأما الزيادة فيه فمقطوع عدمها ومُجْمَعٌ على فسادها إن أريد زيادة سورة على حد يلتبس على الفصحاء، فإنه متناف مع تحدّي القرآن بذلك، وإن أريد زيادة كلمة أو كلمتين أو حرف أو حرفين، ولست أقطع على كون ذلك، بل أميل إلى عدمه وسلامة القرآن عنه.

قال : ومعي بذلك حديث عن الصادق جعفر بن محمد (ع)"[1].

ج. الشريف المرتضى علي بن الحسين علم الهدى (ت ٤٣٦) قال في رسالته الجوابية الأولى عن المسائل الطرابلسيات :

"إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت، والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدّ لم يبلغه فيما ذكرناه، لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ

---

١. أوائل المقالات، ص٥٤ــ٥٦.

العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً ومنقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد..... من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية[1] لا يعتد بخلافهم ــ أي قلة شاذة من المسلمين والشاذ كالمعدوم ليس بشيء ــ فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع بصحته"[2].

د. شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) قال :

"وأما الكلام في زيادته ونقيصته فمما لا يليق بهذا الكتاب المقصود منه العلم بمعاني القرآن، لأن الزيادة

---

١. وهم فئة من أبناء العامة.

٢. مجمع البيان، ١٥/١، ضمن الفن الخامس.

منه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا"[1].

ونلاحظ نظير هذه الكلمات لدى كثير من علمائنا السابقين واللاحقين، ومنهم :

أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) صاحب تفسير مجمع البيان. والعلامة الحلي جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهّر الحلي (ت ٧٢٦ هـ)، والمحقق الثاني علي بن عبد العالي المعروف بالكركي (ت ٩٤٠هـ). وشيخ الفقهاء الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨ هـ). وكذلك حفيده الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ). والشيخ البهائي محمد بن الحسن الحارثي العاملي (ت ١٠٢٣هـ). والفيض الكاشاني محمد بن المحسن (ت ١٠٩٠هـ). والحر العاملي محمد بن

---

١. التبيان، ٣/١، طبعة النجف. وهذا التعبير بما هو المتداول يدل على أن المذهب والدين لا يكون إلاّ كذلك.

الحسن بن علي صاحب كتاب وسائل الشيعة (ت ١١٠٤هـ). والمحقق السيد محسن الأعرجي (ت ١٢٢٧هـ). والحجة الشيخ محمد جواد البلاغي (ت ١٣٠٢هـ)، والسيد عبد الحسين شرف الدين العاملي (ت ١٣٧١هـ)، والسيد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١هـ)، والمرجع الديني الفقيه السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ)[1]، والفيلسوف المفسّر الشهير السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، والمرجع الديني المحقق السيد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ). وقائد الثورة الإسلامية الراحل السيد روح الله الموسوي الخميني (ت ١٤٠٩هـ). فقد ذكر عنه تلميذه : "أن الواقف على عناية المسلمين بجمع الكتاب وحفظه وضبطه قراءة وكتابة يقف على بطلان تلك المزعومة. وما ورد فيه من أخبار حسبما تمسكوا ـ أما ضعيف لا يصلح الاستدلال به، أو مجعول تلوح عليه أمارات الجعل، أو غريب يقضي بالعجب، أما الصحيح منها

---

١. جاء ذلك في جواب محفوظ على سؤاله وجه لسماحته بهذا الخصوص.

فيرمي إلى مسألة التأويل والتفسير، وإن التحريف إنما حصل في ذلك لا في لفظه وعباراته"[1].

ومن هنا، نستغرب ما ذكره بعض العلماء من نسب التحريف إلى المسلمين الشيعة، نذكر من هؤلاء :

القاضي أبو بكر الباقلاني، حيث كرر السباب والتهم بالتحريف لشيعة أهل البيت (ع) [2].

وكذلك ابن حزم الظاهري حيث يقول : "ومن قول الإمامية كلها قديماً وحديثاً أن القرآن مبدّل زيد فيه ما ليس فيه، ونقص منه كثير، وبدل منه كثير، حاشا عليّ بن الحسين (الشريف المرتضى) وكان إمامياً يظاهر بالاعتزال مع ذلك، فإنه كان ينكر هذا القول، ويكفّر من قاله، وكذلك صاحباه أبو يعلى ميلاد الطوسي وأبو القاسم الرازي[3].

---

١. تهذيب الأصول، تقرير الشيخ جعفر السبحاني، ١٦٥/٢.
٢. نكت الانتصار، ٩٥ـ١٠٣ و٢٣٩ـ٢٤٢.
٣. الفصل في الملل والنحل، ١٨٢/١.

وعلى غراره تحدث أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد الخياط في كتابه "الانتصار"، والقاضي عبد الجبار المعتزلي حيث يقول عند كلامه عن أنحاء الخلاف في القرآن الكريم :

ـ (منها) خلاف جماعة من الإمامية الروافض الذين جوّزوا في القرآن بالزيادة والنقصان، وقالوا : إنه كان على عهد رسول الله (ص) أضعاف ما هو موجود فيما بيننا، وحتى قالوا : إن سورة الأحزاب كانت محمل جمل، وأنه قد زِيدَ فيه ونُقِّصَ وغُيِّرَ وحُرِّف، ولما أتوا في ذلك إلاّ من جهة الملاحدة الذين أخرجوهم من الدين من حيث لا يعلمون"[1][2].

وليت العلماء يحققون في كل كلمة يسمعونها خصوصاً في أهل الأهواء والأغراض، ويتبعون الموضوعية، لجنّبوا المسلمين كل الفتن والمشاكل والتي نسأل الله تعالى أن لا تعود.

---

١. شرح الأصول الخمسة، ص٦٠١.

٢. دروس في علوم القرآن، للسيد رياض الحكيم.

تخريج الروايات التي يتوهم منها النقص

عند علماء المسلمين الشيعة

وكل مَن قال بعدم النقص، فلا بدّ له من إحدى حالتين عند مواجهة الروايات فهو، إمّا أنه قد خرّج روايات النقص بأنها نقص في التفسير والتأويل وبيان المراد من الآيات وإما أن يطرحها ولا يعتبرها أصلاً لتنافيها مع أدلة التمام أو لمخالفتها كتاب الله برأيه.

أما الحالة الأولى، أي تخريج روايات النقص على أنها نقص في التفسير والتأويل وبيان المراد من الآيات، فحيث أن المسلمين كانوا يكتبون الآية ويكتبون أيضاً المراد منها في الصفحة نفسها، وهذا هو المعروف في تخريج الروايات المذكورة وحملها، بل قد بيّنت الأحاديث الشريفة هذا المعنى من التحريف، وأن المقصود من التحريف هو أنّ المسلمين حافظوا على حروف القرآن وألفاظه وتلاوته، وحرّفوا المراد وأوّلوا

المعاني بما يناسب أهواءهم، وهو واضح من أن القرآن تام كامل لم ينقص حرفاً واحداً. انظر إلى هذا الحديث : "**وكان من نبذهم الكتاب أنهم أقاموا حروفه، وحرَّفوا حدوده... فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية، وكان من نبذهم الكتاب أن ولّوه الذين لا يعلمون، فأوردوهم الهوى، وأصدروهم، وغيّروا عرى الدين..**"، وبعد كل هذا، نستطيع أن نقول إن كل مَن يرمي الشيعة بتهمة نقص القرآن فهو مكابر وعنيد، أو جاهل أو مأجور من أهل الفتن، يريد تضليل الرأي العام ليوقع الخلاف والفتنة بين المسلمين، ولا يريد بهم إلاّ شراً.

ولخطورة التأويل وما حدث بسببه للمسلمين، أخبر به رسول الله (ص) وما سيحدث من قتال، ومَن سيقاتل على التأويل، وأذكر هنا حديثين ذكرهما صاحب كتاب "الصلوات الهامعة بمحبة الخلفاء الجامعة" مصطفى البكري الصدِّيقي، طبعة ١٩٥٢ :

"اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آل سيدنا محمد القائل : "**منكم مَن يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله**"، **قيل : أبو بكر وعمر؟ قال : لا، ولكنه خاصف النعل، يعني علياً**. رواه الإمام أحمد في مسنده، وأبو يعلى في مسنده، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وأبو نعيم، عن أبي سعيد الخدري".

والحديث الآخر :

"اللهم صل وسلم على سيدنا ونبيّنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد القائل : "**والذي نفسي بيده، إنّ فيكم لَرَجلاً يقاتل الناس من بعدي على تأويل القرآن كما قاتلتُ المشركين على تنزيله، وهم يشهدون أن لا إله إلاّ الله، فَيَكبُر قتلهم على الناس، حتى يطعنوا على وليّ الله تعالى، ويسخطوا عمله كما سخط موسى أمر السفينة والغلام والجدار، وكان ذلك كله رضا الله تعالى**"، رواه الديلمي في "مسند الفردوس" عن أبي ذر والسيوطي في "الجامع الكبير".

وقد بيّنا ذلك آنفاً في الجواب على أدلة نقص القرآن. أنظر من ص ٥١ إلى ص ٦١ من هذا الكتاب.

فهذه هي الحالة الأولى لمن يواجه هذه الروايات، وهي اختصاصها بالتأويل والتفسير، فلو فرضنا أنه لم يتم له ذلك، وهو بعيد، فلا بدّ من صيرورته إلى الحالة الثانية، وهي :

أن يطرحها ولا يعتبرها أصلاً، إما لتنافيها مع أدلّة التمامية، وإما لكونها برأيه تخالف كتاب الله ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[1]. وقد وردت روايات كثيرة عن أئمة أهل البيت (ع) في عرض الحديث على كتاب الله، فإن خالفه فدعوا الحديث، وأنّ ما خالف قول ربّنا لم نقله، زخرف، باطل، اضرب به عرض الجدار نذكر منها الحديث التالي :

---

١. سورة الحجر، آية ٩.

خطب النبي (ص) بمنى فقال : "**أيها الناس، ما جاءكم مني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله**"[1].

---

١. وسائل الشيعة، جزء ١٨ باب ٩ من أبواب صفات القاضي، حديث ١٥.

الفصل السابع

لماذا أدرج أصحاب كتب الحديث من السنّة والشيعة الروايات التي يتوهم منها النقص مع عدم قولهم به؟!

لماذا أدرج أصحاب كتب الحديث من السنّة والشيعة الروايات التي يتوهم منها النقص مع عدم قولهم به؟!

أورد أصحاب كتب الحديث هذه الروايات لعدة أمور :

أولاً : أنهم أثبتوا الروايات المتعارضة، ونعلم أن التعارض هو تكاذب الدليلين من حيث الدلالة في مقام الجعل، مثل أن تقول : "اذهب"، و"لا تذهب"، حيث نعلم أن أحد الأمرين إما كاذب أو أن لا يكون في مقام بيان الحكم الواقعي.

إن صاحب كتاب الحديث يعمل برواية واحدة، ويطرح الأخرى، أي لا يعمل إلا بإحدى الروايتين لأجل القول بالتساقط أو التخيير أو بالترجيح على اختلاف المباني في المسألة الأصولية، أي في مسألة تعارض الأدلة إلاّ أنه أثبت الحديثين معاً، والسؤال أنّ هذا المحدّث صاحب كتاب الحديث الذي لا يعمل إلاّ برواية

واحدة ويطرح الأخرى المعارضة ولا يعمل بها، فالسؤال هو : لماذا يذكر الرواية المطروحة مع أنه لا يعمل بها، ولماذا يثبتها في كتابه؟

ونقول إن سبب الإثبات هنا هو نفسه سبب ذكر حديث النقص.

وسبب إثبات وذكر كل واحد من أصحاب كتب الحديث له منهجية يعتمدها في إدراج الحديث في كتابه، وكلّما تمّت هذه المنهجية كلما أدرج الحديث، ثم يترك هذا المحدِّث للفقهاء الأخذ به أو عدم الأخذ.

فإذا كانت المنهجية ــ مثلاً ــ هي إدراج كل حديث رواه ثقة عن ثقة عن ثقة عن المعصومين عن النبي (ص) وأهل بيته (ع) أدرجه بغض النظر عن أنه يعمل به أم لا، بل يترك للفقهاء من بعده أن ينظروا في الحديث، فلعلّهم يستفيدون أموراً لم يستفدها هو، وحينئذٍ يرى هذا المحدِّث أن ليس من الإنصاف طرح الحديث لمجرد أنه يخالف رأيه. فنرى مثلاً : رئيس المحدثين الصدوق الشيخ محمد بن بابويه يعدُّ القول بعدم التحريف

من معتقدات الإمامية، مع إنه يروي بعض الروايات التي مرّت معنا، وذلك تماماً كالمسائل الفقهية، فإنه يروي الحديثين المتعارضين مثل اشتراط إذن الأب والمولى في تزويج البنت الباكر، أو الحديثين المتعارضين في طهارة الكتابي مثلاً، وبعد ذلك يأخذ ببعضها لمرجح عنده، ويترك الأخرى، فهذه الأخيرة رواها ولم يعمل بها، ولا ضير في ذلك، بل هو ديدن أصحاب كتب الحديث.

وثانياً : إن الدواعي كانت كثيرة جداً لجمع تراث أهل البيت (ع) خوفاً من ضياع أحاديثهم.

فالحديث لم يَتَسَنَّ تدوينه في القرن الأول للهجرة، وقيل إن من أسبابه عدم معرفة الناس العامة بالقراءة والكتابة، ولكن هذا ليس سبباً وجيهاً حيث إن القرآن قد دُوِّن وكتبه الكثيرون، كذلك كان هناك كتابات في الجاهلية كالمعلّقات التي كتبت وعُلِّقت على جدران الكعبة، والأحجار التي وجدها الباحثون في شبه الجزيرة العربية في الآثار وأكتاف الإبل، وغيرها كثير، وهناك

أسباب أخرى مهمة، منها منع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب من كتابة الحديث، وقد برروا هذا المنع لكيلا يشتبه الحديث بالقرآن، وهو في حد ذاته هدف شريف، إلا أنه لا يتم بهذه الوسيلة، وذلك للاختلاف الشديد والبون الشاسع بين القرآن والسنّة في مقام البيان، حيث إن القرآن معجزة خالدة في أسلوبه وفصاحته وبلاغته وبيانه، فلا يمكن عقلاً أن يختلط بالسنّة.

وللأسف كان لهذا التدبير أثر سلبي كبير على حفظ السنّة النبويةُ الشريفة والفقه والأحكام، لأن منع كتابة الحديث أدَّى إلى فراغ واسع في ثقافة الأمّة وعلومها الشرعية والقانونية والمسلكية، مما أتاح لكثير من أصحاب الغايات أن يخترعوا الأحاديث ويضعوها على طبق أهوائهم.

واستمر هذا التدبير عشرات السنين، فوصلت الأحاديث والسنّة بعد حوالي مائة عام من المنع إلى جامعيها وكتّابها مصنوعة مفبركة على طبق أهواء من وضعها واخترعها، خصوصاً أهل السلطة.

كذلك كان العداء لأهل البيت (ع) المستفحل في بيوت السلطة خوفاً منهم على عروشهم قد أدّى إلى منع كتابة الكثير عن النبي (ص) وأهل بيته (ع)، انظر إلى قول المنصور الدوانيقي الخليفة العباسي لمالك بن أنس : "أفت برأي من شئت من الصحابة والتابعين، ولا تُفتينَّ برأي عليٍّ وابن عباس"، وكما كان المنصور كان غيره من حكّام بني العباس[1].

ونتيجة هذه الإجراءات من السلطات الحاكمة، كادت السنّة النبوية الشريفة أن تضيع وتندرس، انظر إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الذي أصدر أوامره بجمع الحديث وتدوينه، وكتب إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم : أنظر ما كان من حديث رسول الله (ص) أو سنّة ماضية فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وضياعه، وأكّد عليه، كما جاء على لسان بعض المحدّثين أن يُدون مرويات عمرة بنت عبد الرحمن

---

١. المبادئ العامة للفقه الجعفري، للسيد هاشم معروف الحسني، ص١١.

الأنصارية، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وكتب إلى بقية عمّاله بمثل ذلك[1].

ومنع الخليفة عمر بن الخطاب من تدوين الفقه والحديث، وهو الحاكم المطلق المهاب بين المسلمين، وقد استطاع أن يجمد فكرة التدوين العام لفترة من الزمن مع اتجاه الجمهور ورغبته يوم ذاك إلى تدوين الآثار الإسلامية. لهذه الأسباب انصرف عامة المسلمين عن التدوين، واعتمدوا على محفوظات الرواة في فقههم وجميع ما يحتاجون إليه من سنّة الرسول (ص) وسيرته، كما ذكرنا أكثر من مرّة أن هذا الموقف السلبي كان له أثره السيئ على جميع الآثار الإسلامية، ولا سيما بعد أن فتكت الحروب والغزوات بالقسم الأكبر من الصحابة الأمناء على الآثار، وأتيح للكذبة والمأجورين أن يختلقوا ما يرضي أهواءهم وساداتهم، فدسّوا بين أحاديث الرسول (ص) وأقواله آلاف الأحاديث، ولولا

---

١. المصدر نفسه، ص١٢٥. نقلاً عن تاريخ الفقه الإسلامي، ص١٧٦ــ١٧٧، والأضواء، ص٢٢.

الأعباء الجسام التي تحمّلها العلمـــاء لتصـــفية الحـــديث وتنقيته من المكذوب، لضاعت السنّة الصحيحة، وفقدت جمالها وأضواءها. والحاصل أن عدم التـــدوين العـــام استمر في عصر الخلفاء الراشدين إلى النصف الثـــاني من عهد الأمويين، ولم يطرأ عليه تبدّل محسوس خـــلال قرن من الزمن تقريباً، وشاع بين كبار التـــابعين المنـــع عنه والإنكار على مَن يفعله، كعبيدة بن عمر الســـلماني المرادي، وإبراهيم بن زيد التميمي المتوفى سنة ٩٢هـــ، وجابر بن يزيد المتوفى سنة ٩٣هـــ، وإبراهيم النخعـــي المتوفى سنة ٩٦هـــ، والضحاك بـــن مـــزاحم الهلالـــي المتوفى عام ١٠٥هـــ، وكان ينـــادي فـــي النـــاس : لا تتخذوا للحديث كراريس ككراريس المصـــاحف، وابـــن شهاب الزهري وكان يقول : كنا نكره كتابة العلم حتـــى أكرهنا هؤلاء الأمراء، فرأينا أن لا نمنعـــه أحـــداً مـــن المسلمين"(١)(٢).

---

١. المصدر نفسه، عن علوم الحديث ومصطلحاته، ص٣٣.

٢. المصدر نفسه، ص١٢٥و١٢٦.

يقول السيوطي في تدريب الراوي : "لقد كان خلاف بين المسلمين في تدوين الحديث وكتابته، فأباحه عليٌّ والحسن والحسين (ع) وفعلوه ومنعه غيرهم.." [1].

وفي أواخر عهد بني أمية وأوائل عهد بني العباس، كانت فرصة للإمامين محمد الباقر وولده جعفر الصادق (ع) لإنشاء جامعة علمية ضخمة لنشر العلوم الإسلامية، حيث اشتغل بنو أمية بالدفاع عن حكمهم، وانشغل بنو العباس في بداية حكمهم في تأسيس دولتهم وتركيز دعائمها، وانتشر تلاميذ الإمامين (ع) في أنحاء العالم الإسلامي، وكانوا بالآلاف حيث كانوا في المدينة المنورة وحدها أكثر من أربعة آلاف منهم كبار فقهاء المسلمين، وسارع المحدِّثون من المسلمين خصوصاً أتباع أهل البيت (ع) منهم إلى تدوين ما سمعوه من الإمامين ومن الأئمة بعدهما عن أبائهم عن رسول الله (ص)، حتى بلغ ما كتبوه ستة آلاف كتاب في مختلف

---

١. المصدر نفسه، ص١٢٩.

العلوم الإسلامية كما ذكر الحر العاملي في كتابه النفيس "وسائل الشيعة"، منها أربعماية سميت بالأصول.

ولضغط الظروف التي أحاطت بكتابة الحديث، وتسلُّط السلاطين، اندفع كتّاب الحديث يجمعونه من كل الأنحاء ويضربون آباط الإبل بحثاً عنه، ثم كتبوا كتبهم، كلٌ حسب المنهجية التي اعتمدها في رواية الحديث.

ومع محاولة جمع الحديث، ترك بعض أصحاب كتب الحديث كثيراً من الروايات الصحيحة عندهم فيقول إني تركت من الصحيح أكثر مما ذكرت، وذلك نظراً لمصادرة السلطان لحريته في تدوين الحديث، حيث منعت تدوين ما يُشَكِّل تهديداً لسلطانهم أو مخالفة أهوائهم.

تخريج عبارة "ما تركت من الصحيح أكثر"

ذكر في الجزء الأول من الكامل عن عبد الله بن عدي : سمعت محمد بن إسماعيل البخاري : حدثني

محمد بن أحمد القومسي قال: سمعت محمد بن حمدوية يقول : سمعت محمد بن إسماعيل يقول : أحفظ مائة ألف حديث صحيح، واحفظ مايتين ألف حديث غير صحيح. سمعت الحسن بن الحسين البخاري يقول: سمعت إبراهيم بن معقل يقول : سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : ما أدخلت في كتاب الجامع إلاّ مع صح، وتركت من الصحاح لحال الطول[1].

وابن الصلاح يروي عن البخاري أنه قال : ما أدخلت في كتابي "الجامع" إلاّ ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطول، وقال: أحفظ مائة ألف حديث صحيح... وروى عنه ذلك أيضاً الحازمي في "شروط الأئمة الخمسة، ص٦٣ وروايته : لم أخرج في هذا الكتاب إلاّ صحيحاً، وما تركت من الصحيح أكثر"[2].

---

١. من س، د.. كومبيوتر الكامل، ج١، عبد الله بن عدي، ص١٣١.

٢. من س. د. كومبيوتر صحيح ابن حبان، ج١، ابن حبان، ص٥.

وفي الصفحة التالية ينقل ابن الصلاح عن مسلم قوله : ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هنا – يعني في كتابه "الصحيح"...[1].

وفي مقدمة "فتح الباري" :

... وروى الإسماعيلي عنه قال : لم أخرج في هذا الكتاب إلاّ صحيحاً، وما تركت من الصحيح أكثر؛ قال الإسماعيلي : لأنه لو أخرج كل صحيح عنده لجمع في الباب الواحد حديث جماعة من الصحابة، ولذكر طريق كل واحد منهم إذا صحت فيصير كتاباً كبيراً جداً. وقال أبو أحمد بن عدي : سمعت الحسن بن الحسين البزار يقول : سمعت إبراهيم بن معقل النسفي يقول : سمعت البخاري يقول : ما أدخلت في كتابي الجامع إلاّ ما صح وتركت من الصحيح حتى لا يطول... [2].

---

١. من س. د. كومبيوتر صحيح ابن حبان، ج١، ابن حبان، ص٦.

٢. من س. د. كومبيوتر مقدمة فتح الباري، ابن حجر، ص٥.

وفي كتاب أضواء على السنَّة المحمدية للشيخ محمود أبو رية : روى ابن حجر في مقدمة فتح الباري أن أبا علي الغساني روي عنه أنه قال : خرجت الصحيح من ٦٠٠ ألف حديث. وروى عنه الإسماعيلي أنه قال : لم أخرج من هذا الكتاب إلاّ صحيحاً وما تركت من الصحيح أكثر. وقال أحفظ مائة ألف حديث صحيح، واحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح. ولا يهولنَّك وجود مثل هذه المئات من آلاف الأحاديث في عصر البخاري، فقد نقل عن الإمام أحمد أنه قال: صحَّ من الحديث سبعمائة ألف وكسر... [١].

ويجدر بنا التوقف عند تركهم من الصحاح أكثر مما ذكروا، وتبريرهم لذلك بحال الطول وكي لا يكون كتاباً طويلاً أو كبيراً، غير مقنع، لأن ترك كتابة الحديث الصحيح وترك ذكره كتمانٌ لسنَّة رسول الله (ص)، ولا يجوز كتمان سنّة رسول الله (ص)، لأنه كتمان للشريعة

---

١. من س. د. كومبيوتر أضواء على السنّة المحمدية، الشيخ محمود أبو رية، ص٢٩٩.

وللدين، وليكن كتاباً طويلاً فما المشكلة؟! فلا بد من أن ننظر إلى أسباب أخرى. والذي يرجح عندي أن أهل كتب الحديث لم يكونوا في موقع يستطيعون فيه كتابة كل ما وصلهم، وذلك لمصادرة السلطات آنذاك للحريات، فلم ينقلوا عن أهل البيت إلاّ قليلاً، وذلك خوفاً من بطش الحاكمين وظلمهم[1]، فكان لا بد من تبرئة ذمتهم أمام الله والتاريخ، وهم الذين سعوا إلى جمع سنّة رسول الله (ص) كما وصلتهم، فقالوا إننا تركنا من الروايات الصحيحة الكثير، وذلك كي يعلم الناس، وخصوصاً الأجيال اللاحقة التي ستتلمذ على أيديهم، وستأخذ من كتبهم أنَّ هناك صحاحاً لم يذكروها نظراً

---

١. لأن الحكام والسلاطين آنذاك كانوا يناوئرن أهل البيت (ع) ويصارعونهم ويلاحقون أتباعهم، وذلك لأنهم يجدونهم الخطر الأكبر على سلطتهم ودنياهم، فمعاوية بن أبي سفيان مثلاً، بعد أن سنَّ لعن علي بن أبي طالب (ع) على المنابر، أرسل إلى الولايات أن برأت الذمّة من كل من قال كلمة في حق عليّ، وبراءة الذمة تعني إباحة دمه وماله وعرضه. ولذا قال بعض المفكرين عن عليّ (ع) : "عجبت لرجل كتم أعداؤه فضله كُرْهاً، وكتم أصحابه فضله خوفاً، ومع ذلك ملأ ما بين الخافقين".

كتبهم أنَّ هناك صحاحاً لم يذكروها نظراً لظروفهم التي ألمَّت بهم، وعليكم أيها الناس أن تبحثوا عنها.

الفصل الثامن

هل يقتضي نقل الروايات الموهمة للنقص الحكم بكفر وكذب الناقل؟

هل يقتضي نقل الروايات الموهمة للنقص الحكم بكفر وكذب الناقل، فنحكم بكفر البخاري والكليني والصدوق ومسلم وغيرهما أم لا يقتضي؟!

والذي دفعني إلى كتابة هذه الفقرة أنّ رجلاً متفيقهاً كان يدور من بيت إلى بيت في بيروت، ويقول بأن رئيس المحدّثين الشيخ الصدوق كافر، لأنه يروي روايات النقص، وهو يريد بذلك أن يلفت الأنظار، ويشدّ الوجوه إليه بطرح فكرة شاذة غريبة من باب "خالف تُعرف".

وهذا الشخص لم يدرس أصلاً، ولكنه طالع بعض الكتب فظنّ أنه أصبح من الفقهاء، وصار يدور على بيوت البسطاء ليكسب إعجابهم وهم لا يستطيعون إجابته، ثم أكمل التمثيل، فلبس لباس السلف من قلنسوة ودشداشة وأرخى لحية طويلة وأمسك سبحة، نازعاً الجاكيت والبنطلون، ثم صار يحدّث في البيوت التي

يزورها بأنه زار فلاناً وفلاناً من العلماء من أصحاب الأسماء المعروفة وقد طرح عليهم أفكاره، وأفحمهم ولم يحيروا جواباً.

وجاءني رجل مؤمن وصالح وصاحب وعي يطلب مني أن أسمح لهذا الرجل بزيارتي لكي يناقشني، فقلت له : لا، لأنه سيقول بأنه زار فلاناً ـ يعني أنا ـ وناقشه ولم يعطه جواباً، طبعاً كذباً وافتراءً وبهتاناً، كما فعل مع غيري، وسيدرج اسمي مع تلك الأسماء، وهو ما يساعد على تضليلٍ أكثر لعوام الناس، ولكني قلت له : خُذْ هذه الروايات عن عدة كتب مثل البخاري ومسلم، فهل نستطيع أن نحكم بكفر الجميع، ثم بيّنت له معنى الكفر، ومتى نحكم بالكفر والمسوِّغات لذكر هذه الروايات.

وبعد ثلاثة أيام عادني هذا المؤمن وقد واجه ذلك الرجل، وأنه قد بُهت ولم يَحر جواباً، فقلت له : اذهب

إليه وقل له : إن من أصعب الأمور تكفير مسلم، فليتقِ الله، ومَن أفتى من غير علم فَلْيتبوَّأ مقعده من النار.

ولله الحمد أنّ ذاك الرجل تحسّن وضعه بعد فترة كما أُخبرت.

معنى الكفر :

كفر بمعنى ستر، وقد ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿**كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثم يهيج فتراه مصفرّاً**﴾[1]، إن الكفّار بمعنى الزرّاع، لأن الزارع يستر الحبّ في الأرض[2].

هذا معنى الكافر لغة.

---

١. سورة الحديد، آية ٢٠.

٢. ومن الطرائف تلك الأحجيات التي كان الشيخ البهائي (ره) يركّبها، ومنها : رأيت كافراً على كافر، في كافر، يقتل كافراً.
فكافر الأولى بمعنى الإنسان الكافر عقيدة، وكافر الثانية بمعنى الحصان السريع الذي يختفي صاحبه من سرعته، وكافر الثالثة بمعنى الليل الشديد الظلمة لأنه يستر مَن فيه، وكافر الرابعة بمعنى الإنسان الكافر عقيدة.

وشرعاً، هو مَن ينكر وجود الله عز وجل، وهو الملحد، أو مَن ينكر وحدانيته، وهو المشرك، أو مَن ينكر رسالة النبي (ص)، وإنكار الرسالة تكذيب للرسول، وهو غير المسلم.

وتكذيب الرسول (ص) إما بتكذيبه في أصل الرسالة، وإما بإنكار بعض القرآن، وإما بإنكار ضرورة من ضرورات الدين ــ وقد مرّ معنا معنى الضرورة ــ. وما خلا هذه الأصناف، فكل مَن شَهِد الشهادتين فهو مسلم تنطبق عليه أحكام المسلمين.

ونعود للذين يكفِّرون أو يكَذِّبون العلماء والمحدِّثين من المسلمين كالشيخ أبي زهرة قائلين لهم : هل الكليني ينطبق عليه أحد أقسام الكفّار المذكورين؟ قطعاً لا. فهو لم ينكر وجود الله، وآمن بوحدانيته، وشهد بنبوة محمد بن عبد الله (ص)، ولم ينكر شيئاً من القرآن، ولم ينكر ضرورة من ضرورات الدين، فأين هو الكفر؟!

نعم، إن من فرض أنه يقول بنقص آية من القرآن فهو مسلم لكنه مخطئ، ومخطئ جداً، وليس كافراً، إذ

فرق شاسع بين الكفر والخطأ، أو بين الضلالة والخطأ. إن الكفر شيء والخطأ شيء آخر، إنه لا يحق لنا تكفير شخص يشهد الشهادتين ويؤمن بالغيب والأنبياء والرسل وما أنزل على نبينا محمد (ص)، ثم توهّم دليلية شيء فأخطأ وقال شططاً، لا عن قصد الشططية.

والكلام نفسه يتجه بالنسبة للبخاري ومسلم والصدوق وغيرهم.

فهم مسلمون وليسوا كفّاراً، لقد أتعبوا أنفسهم لجمع الأحاديث كي لا تضيع سنّة رسول الله (ص) وأهل بيته (ع)، وقدّموا خدمة جليلة للأمة، أفيكون جزاؤهم الاتهام بالكذب والكفر وعدم الأخذ بقول لهم ولا بعمل ولا بخبر ولا بأثر ولا.. ولا..

لقد أتعبوا أنفسهم بجمع الأحاديث كما وصلتهم، سواء كانت صحيحة حقيقة، أو موضوعة مفبركة من قِبَل الوضّاعين والكذّابين تلبية لإغراءات السلطات الظالمة من أموية وعباسية آنذاك، وقد اشتهر عن رسول الله (ص) قوله : "**سيكثر من بعدي الوضَّاعون**"،

أي الذين يخترعون الأحاديث علـــى لســـاني ويكـــذبون عليَّ. وأصحاب كتب الحديث ليسوا مسؤولين عن كيفية صدور الروايات، بل نقلوها كما وصلتهم، وكل حســـب منهجيته، وتركوا للعالِم والمجتهد أن يحقق في كل رواية على حدة في سندها وصدروها ومضمونها.

بل إن السلطات الظالمة منعت كتابة ونشر كثيـــر من الأحاديث الصحيحة كما هو رأينا في توجيه قولهم : وذكرت الصحيح وتركت من الصـــحاح أكثـــر، أو مـــا يقرب من هذا، وهو المنسوب إلـــى البخـــاري ومســـلم وأحمد، وذلك هروباً من بطش السلطة من جهـــة بعـــدم نقل الأحاديث التي لا ترضى عنها وإن كانت صحيحة، وتبرئة ذمتهم وذلك بالإشارة إلى كثرة الأحاديث التـــي منعوا من نشرها، وإيكال ذلك إلى الناس، وخصوصـــاً المهتمين بالبحث عنها حين تسنح الفرصة لهم.

ملحق (١) :

مصحف فاطمة

و

الجفر

و

الجامعة

ولا بأس بليّ عنان هذا البحث المختصر إلى توضيح مفهوم طالما كان عنواناً يستغله المصطادون في الماء العكر، لأجل إثارة الفتنة والفرقة بين المسلمين، وهو عنوان "مصحف فاطمة" و"الجفر" و"الجامعة"، فقالوا : إن المسلمين الشيعة لديهم قرآن آخر غير الذي بين أيدينا وهو "مصحف فاطمة"، مستغلين كلمة "مصحف" الموجودة في بعض الروايات عن أهل البيت (ع)، حيث أوهم هؤلاء المفرّقون عامة الناس وبسطاءهم والسذج منهم بأن المصحف هو القرآن فقط، متغافلين عن أن المصحف لغة هو مجموعة صحف كتبت عليها الزهراء فاطمة (ع) ما سمعته من أبيها رسول الله (ص) من أخبار وأحكام كما سيأتي بيانه، وأنه ليس قرآناً آخراً، وأن كل مجموعة صحف مهما كتب عليها تسمّى مصحفاً وصحائف وصحف جمع صحيفة، أياً كان ما كتب عليها.

وذلك مثل كلمة "كتاب" حيث إن معناه كل شيء مكتوب عليه، وليس القرآن فقط.

نعم، مع إطلاق كلمة "كتاب" و"مصحف" ينصرف الذهن إلى القرآن إذا لم يقيَّد ولم يبيّن كتـــاب مَـــن؟ أو مصحف مَن؟ وسبب هذا الانصراف الذهني عدم تدوين الحديث، وعدم وجود كتاب آخر ومصحف آخـــر غيـــر القرآن الكريم فترة طويلة من السنين.

وقانا الله شر أهل الفتن والأهواء والمصطادين في الماء العكر.

الجفر.. والجامعة.. ومصحف فاطمة

إن من خواص النفوس البشرية، التشوق لاكتشاف عواقب الأمور ومعرفة ما يحدث لها في مستقبلها من حوادث مصيرية، واستجلاء ما سيحصل في غدها من سعادة أو شقاء.

ولهذا عكف الناس في جميع الأزمنة والأمكنة، وعلى اختلاف طبقاتهم وأجناسهم، على تدوين ما يحصل لهم من الأمور الطارئة ليسألوا بها أهل الفهم والبصيرة من ذوي الفراسة والذكاء. فكانوا يرجعون إلى الكاهن مثلاً عند الاقتضاء لحل مشاكلهم.

ولما جاء الإسلام نقض ما كانوا عليه من الرجوع إلى الكهان، وأتاهم بالحقائق الواضحة والعلوم النافعة، وزوّد البشرية بما تحتاج إليه في معاشها ومعادها.

والرسول الأعظم الذي عنده علم الأولين والآخرين، علّم ابنته فاطمة جميع ما يحتاج إليه الناس

في معاشهم ومعادهم، وكذلك علّم علي بن أبي طالب من العلوم التي آثره بها حيث قال : "**علمني رسول الله ألف باب من العلم، ينفتح لي من كل باب ألف باب**"، وقال الرسول الأعظم : "**أنا مدينة العلم وعلي بابها**".

ومن جملة التراث العلمي الذي خلفه رسول الله (ص) لابنته فاطمة وزوجها علي والأئمة الأطهار من ذريتها (ع) ــ الجفر ــ والجامعة ــ ومصحف فاطمة على ما روي.

روى الكليني عن أبي بصير قال : "**دخلت على أبي عبد الله (ع) فقلت له : جعلت فداك إني أسألك عن مسألة، ههنا أحد يسمع كلامي؟**

قال : فرفع أبو عبد الله (ع) ستراً بينه وبين بيت آخر، فاطلع فيه ثم قال : يا أبا محمد، سل عما بدا لك، قال : قلت : جعلت فداك، إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله (ص) علّم علياً (ع) باباً يفتح له منه ألف باب؟

قال : فقال : يا أبا محمد، علم رسول (ص) علياً (ع) ألف باب، يفتح من كل باب ألف باب.

قال : قلت : هذا والله العلم.

قال : فنكت ساعة في الأرض ثم قال : إنه لعلم وما هو بذاك.

قال : ثم قال : يا أبا محمد.. وإن عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة؟!

قال : قلت : جعلت فداك، وما الجامعة؟

قال : صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله (ص) وإملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج الناس إليه، حتى الأرش في الخدش، وضرب بيده إلي فقال : تأذن لي يا أبا محمد.

قال : قلت : جعلت فداك، إنما أنا لك فاصنع ما شئت.

قال : فغمزني بيده وقال : حتى أرش هذا[1]، كأنه مغضب.

---

١. الأرش : مراده تأذن لي في غمزي إياك بيدي حتى تجد الوجع في بدنك، وهذا الوجع له دية.

قال : قلت هذا والله العلم.

قال : إنه لعلم وليس بذاك[1].

ثم سكت ساعة، ثم قال : وإن عندنا الجفر، وما يدريهم ما الجفر؟

قال : قلت : وما الجفر؟

قال : وعاء من أدم فيه علم النبيين، والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل.

قال : قلت : إن هذا هو العلم.

قال : إنه لعلم وليس بذاك.

ثم سكت ساعة، ثم قال : وإن عندنا لمصحف فاطمة (ع)، وما يدريهم ما مصحف فاطمة (ع)؟

قال : قلت : وما مصحف فاطمة (ع)؟

قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد.

قال : قلت : هذا والله العلم.

قال : إنه لعلم وما هو بذاك.

---

١. وليس بذاك، أي ليس بالعلم الخاص الذي هو أشرف علومنا.

ثم سكت ساعة ثم قال : إن عندنا علم ما كان، وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.

قال : قلت : جعلت فداك، هذا والله هو العلم.

قال : إنه لعلم وليس بذاك.

قال : قلت : جعلت فداك، فأي شيء العلم؟

قال : ما يحدث بالليل والنهار.. الأمر من بعد الأمر.. والشيء بعد الشيء، إلى يوم القيامة"[1].

وفي الإرشاد للشيخ المفيد أن جعفر بن محمد الصادق (ع) كان يقول : **"علمنا غابر.. ومزبور.. ونكت في القلوب.. ونقر في الأسماع..**

وأن عندنا الجفر الأحمر.. والجفر الأبيض.. ومصحف فاطمة (ع).

وأن عندنا الجامعة، وفيها جميع ما يحتاج الناس إليه".

فسئل (ع) عن تفسير هذا الكلام، فقال :

"أما الغابر : فالعلم بما يكون.

---

١. الكافي، للكليني، ج١، طبع إيران، دار الإسوة، الطبعة الأولى ص٢٤٦.

وأما المزبور : فالعلم بما كان.

وأما النكت في القلوب : فهو الإلهام.

وأما النقر في الأسماع : حديث الملائكة نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم.

وأما الجفر الأحمر : فوعاء فيه سلاح رسول الله (ص)، ولن يخرج حتى يقوم قائمنا أهل البيت.

وأما الجفر الأبيض : فوعاء فيه توراة موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، وكتب الله الأولى.

وأما مصحف فاطمة (ع) : ففيه ما يكون من حادث، وأسماء كل مَن يملك إلى أن تقوم الساعة.

وأما الجامعة : فهي كتاب طوله سبعون ذراعاً، أملاه رسول الله (ص) من فلق فمه[1]، وخط علي بن أبي طالب (ع) بيده، فيه والله جميع ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة، حتى أن فيه أرش الخدش، والجَلدة، ونصف الجَلدة".

---

١. من فلق فيه : أي من شق فمه.

وكان الصادق (ع) يقول : "**إن حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وحديث علي أمير المؤمنين حديث رسول الله (ص)، وحديث رسول الله (ص) قول الله عز وجل**"[1].

وفي بحار الأنوار للمجلسي عن أبي عبيدة قال : سأل أبا عبد الله (ع) بعضُ أصحابنا، عن الجفر :

فقال (ع) : "**هو جلد ثور مملوء علماً**".

فقال له : ما الجامعة؟

قال (ع) : "**تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم، مثل فخذ الفالج**[2]**، فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلاّ وفيها، حتى أرش الخدش**".

قال له : فمصحف فاطمة؟

---

١. الإرشاد، للشيخ المفيد، ص٢٧٤.

٢. فخذ الفالج : الجمل العظيم ذو السنامين.

فسكت طويلاً ثم قال : "**إنكم لتبحثون عما تريدون، وعما لا تريدون.**

إن فاطمة مكثت بعد رسول الله (ص) خمسة وسبعين يوماً، وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرائيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي (ع) يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة"[1].

أقول : إن فاطمة الزهراء (ع) كانت محدَّثة على حسب الروايات، ولم تكن نبية ولا مرسلة مثلها مثل سارة زوجة نبي الله إبراهيم (ع)، وأم موسى بن عمران (ع)، ومريم أم عيسى (ع)، وسيأتي شرح ذلك في باب لاحق.

جاء في مقدمة ابن خلدون : "واعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعيد العجلي، وهو

---

١. بحار الأنوار، للمجلسي، ج٤٣، ص٧٨.

رأس الزيدية، كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص.

وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالاتهم على طريق الكرامة والكشف، الذي يقع لمثلهم من الأولياء.

وكان مكتوباً عند جعفر في جلد ثور صغير، فرواه عنه هارون العجلي، وكتبه، وسمّاه الجفر باسم الجلد الذي كتب فيه، لأن الجفر في اللغة هو الصغير.

وصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم.

وكان فيه تفسير القرآن، وما في باطنه من غرائب المعاني، مروية عن جعفر الصادق.

ولو صح السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند، من نفسه، أو من رجال قومه. فهم أهل الكرامات، وقد صح عنه أنه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم وتصح كما يقول.

وقد حذر[1] يحيى ابن عمه زيداً من مصرعه، وعصاه، فخرج، وقتل بالجوزجان كما هو معروف.

وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنك بهم علماً، وديناً، وآثاراً من النبوة، وعناية من الله بالأصل الكريم، تشهد لفروعه الطيبة"[2].

---

١. أي حذَّر الإمام جعفر الصادق (ع) ابنَ عمّه يحيى بن زيد وقال له إنه إن خرج وثار سيُصرع، وكان كما قال الإمام جعفر الصادق (ع).

٢. مقدمة ابن خلدون، ص٣٣٤.

فاطمة الزهراء (ع) محدَّثة.. ليست نبية ولا مرسلة

روى المجلسي في بحاره : عن علي بن جعفر الحضرمي قال : حدثنا سليمان : قال محمد بن أبي بكر : لما قرأ ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي**﴾[1] ولا محدَّث.

قلت : وهل يحدِّث الملائكة إلا الأنبياء؟

قال : إن مريم.. لم تكن نبية، وكانت محدَّثة، وأم موسى بن عمران كانت محدَّثة ولم تكن نبية، وسارة امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة، فبشروها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ولم تكن نبية. وفاطمة بنت رسول الله (ص) كانت محدَّثة، ولم تكن نبية.

قال الصدوق (ره) : قد أخبرنا الله عز وجل في كتابه بأنه ما أرسل من النساء أحداً من الناس في قوله

---

١. سورة الحج، آية ٥٢.

تبارك وتعالى : ﴿**وما أرسلنا قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم**﴾[1]، ولم يقل نساء. والمحدَّثون ليسوا برسل ولا أنبياء.

وزيادة في التوضيح : أن سارة زوجة إبراهيم الخليل (ع) كانت واقفة تسمع كلام الملائكة حينما قالوا له : إننا جئناك لنبشرك بغلام عليم.

فراجعهم قائلاً : أبشرتموني على أن مسني الكبر، وصار لا يرجى لمن كان مثلي أن يلد! وامرأتي عاقر قد بلغت سن اليأس!

وكانت سارة واقفة تسمع كلام الملائكة لإبراهيم، فضحكت من هذه البشرى العجيبة، وقالت : كيف ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً؟!

---

١. سورة الأنبياء، آية ٧.

وأبدت غاية الاستغراب، فأحال الملائكة الأمر على قدرة الله الذي لا يعجزه شيء، كما جاء ذلك في سورة هود :

﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ[1] ❋ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ❋ وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب ❋ قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب ❋ قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أنه حميد مجيد﴾[2].

كذلك أم موسى بن عمران كانت محدَّثة ولم تكن نبية كما أسلفنا.. وأنها لما ولدته خبأته عن عيون الرقباء من رجال فرعون الذين يطلبون أطفال بني إسرائيل

---

١. جاء بعجل حنيذ : أي قدم لهم عجلاً مشوياً.

٢. سورة هود : الآيات : ٦٨ــ٧٣.

لقتل ذكرانهم، فلما خافت افتضاح أمرها أعلمها الله تعالى كيف تنجيه من القتل، وعلمها أن تصنع له ما يشبه الصندوق وتطليه بالقطران والزفت، وتلقيه في اليم، ففعلت.. وناطت بأخته أن تتبع أثره، وتعلم علمه، وكان الله تعالى قد أعلمها أنه راده إليها وجاعله من المرسلين، قال سبحانه وتعالى :

﴿وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾[1].

وقال تعالى مخاطباً موسى كما في سورة طه :

﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى ❋ إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ❋ أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني﴾[2].

---

١. سورة القصص : آية ٧.

٢. سورة طه : الآيات : ٣٧ـ٣٩.

وأما مريم بنت عمران.. فكانت ابنة رجل عظيم من علماء بني إسرائيل، ونشأت نشأة طهر وعفاف، ولما بلغت مبلغ النساء، اعتزلت من أهلها في مكان نحو المشرق من بيت المقدس، فأرسل الله سبحانه إليها جبرائيل، فتمثل لها في صورة شاب تام الخلق، فقالت له : ﴿**أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا..**﴾ وكان بينهما محاورة كما جاء ذلك في سورة مريم من قوله تعالى :

﴿**واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ❋ فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ❋ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ❋ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً ❋ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً ❋ قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً**﴾[1].

---

١. سورة مريم، الآيات : ١٦ــ٢١.

وقال تعالى : ﴿**إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين**﴾[1]، إلى آخر ما هنالك من الآيات الدالة على مخاطبة الملائكة لمريم ابنة عمران.

إن الملائكة كانت تحدث من ذكرنا من النساء الصالحات أمهات الأنبياء (ع).

فكيف بفاطمة بضعة الرسول الأعظم التي هي بنت محمد (ص)، الطاهرة.. المطهرة.. من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

علاوة على شهادة أبيها محمد رسول الله بأنها سيدة نساء العالمين فلا غرابة إذا حدثتها الملائكة.

وإنما أوردنا ما أوردناه من قصة سارة أم إسحاق زوجة إبراهيم، وأم موسى بن عمران، وأم عيسى مريم

---

١. سورة آل عمران، آية ٤٥.

بنت عمران، على سبيل المثال، لدفع إشكال مَن يشكل : أنه كيف يحصل حديث أو كلام بين جبرائيل أو الملائكة وبين أحد من الناس غير الأنبياء والمرسلين.

من البديهيات أن لا يترك النبي (ص) أمراً من الأمور التي يحتاج إليها الناس في معاشهم ومعادهم إلاّ ويعلّمها لهم، سواء كان ذلك من العبادات، أو المعاملات، أو الديات، أو الأخلاقيات، أو غير ذلك من الأمور، لأنه أرسله تعالى رحمة للعالمين.

وعلى هذا الأساس، فإن الذين يتلقون منه العلوم، لا بدّ أنهم أقرب الناس إليه وأكثرهم صلة به.

ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن أهله وأقرباءه هم أكثر الناس اتصالاً به، وتلقياً للعلوم منه.

وإذا حققنا تماماً ودققنا النظر في مضامين الأحاديث الواردة عنه (ص)، والتي سجلها المؤرخون أصحاب السير، نرى أنه لم يترك فرصة سانحة إلاّ ويزوّد المسلمين بتعاليمه القيمة، وبطبيعة الحال يكون الأكثر استفادة من تعاليمه هم أقرب الناس إليه. وهل

هناك أقرب إلى رسول الله من ابنته فاطمة الزهراء وزوجها علي بن أبي طالب (ع)..؟

فاطمة الزهراء ابنة محمد التي نهلت من منهله الصافي منذ أن رأت النور، فقد كان رسول الله لها الوالد.. والمربي.. والمعلم.. أنشأها النشأة الحسنة، وهذبها بتهذيبه، وعلمها من علومه ونهجت منهجه حتى فاقت النساء علماً، وورعاً، وتقى، وزهادة.. وهي سيدة نساء العالمين.

فليس من الغريب أن تترك فاطمة (ع) لمن بعدها ثروة علمية يتوارثها ذووها وطلاب العلم والمعرفة من المسلمين، ومن جملة تراثها (ع) الكتاب الذي يسمّى مصحف فاطمة.

ومن هذا المنطلق أيضاً : يحصل لنا العلم بأن النبي (ص) كان يحرص كل الحرص جاهداً في تعليم ابنته العزيزة عليه فاطمة، جميع ما تحتاج إليه ويحتاج

له الناس، فقد علّمها من العلوم الجليلة القيمة النافعة للمسلمين كالعبادات، والمعاملات، والديات، حتى أرش الخدش كما أسلفنا.

بالإضافة إلى ما حصل من الحوادث وسيحصل في مستقبل الأزمنة.

وعلى ما ذكرته الروايات أن مصحف فاطمة كان يحتوي هذه العلوم، وليس مصحف فاطمة بقرآن حتى يأتي من لا ذوق له ولا بصيرة ليطعن على المسلمين الشيعة فيقول : إن عندهم مصحف فاطمة وهو بمثابة القرآن.

ودفعاً للشبهات أقول : إن مصحف فاطمة كان يحتوي على المعطيات الآنفة الذكر وغيرها من العلوم والمعارف.

على أن الإمام جعفر الصادق (ع) لم يعبر عن مصحف فاطمة بالقرآن، بل نفى ذلك وقال : "**ما أزعم أن فيه قرآناً**..". وقال أيضاً :

"وعندنا مصحف فاطمة، أما والله ما فيه حرف من القرآن، ولكنه إملاء رسول الله (ص) وخط علي (ع)".

وفي الكافي للكليني عن الحسين بن أبي العلاء قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : "إن عندي الجفر الأبيض.

قال : قلت : فأي شيء فيه؟

قال (ع) : زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم (ع)، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجلدة، ونصف الجلدة، وربع الجلدة، وأرش الخدش.

وعندي الجفر الأحمر.

قال : قلت : وأي شيء في الجفر الأحمر :

قال : السلاح، وذلك إنما يفتح للدم، يفتحه صاحب السيف للقتل.

فقال له عبد الله بن أبي يعفور : أصلحك الله، أيعرف هذا بنو الحسن؟

فقال : أي والله، كما يعرفون الليل أنه ليل، والنهار أنه نهار. ولكنهم يحملهم الحسد وطلب الدنيا على الجحود والإنكار، ولو طلبوا الحق بالحق لكان خيراً لهم"[1].

والظاهر أن المراد بمصحف فاطمة هو كتاب فاطمة الوارد في بعض الأخبار. بالإضافة إلى أن معنى المصحف ليس معناه اللغوي ــ القرآن ــ فلفظ قرآن يدل على الكتاب السماوي المنزل على رسول الله (ص).

وأما لفظ مصحف : فيمكن أن يطلق على كل كتاب أنه مصحف.

---

١. الأصول من الكافي للكليني، ج١، ص٢٤٠.

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة صحف :

أن المصحف هو الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين.

وقال الأزهري : وإنما سمي المصحف مصحفاً لأنه أصحف، أي جعل جامعاً للصحف.

وأما من خصوص الجفر، فالظاهر من الأخبار والروايات أن الجفر كتاب فيه العلوم النبوية الشريفة من حلال، وحرام، وأحكام، وأصول، وكل ما يحتاج الناس إليه في أحكام دينهم، وما يصلحهم في دنياهم.

وفيه أيضاً الأخبار عن بعض الحوادث، ويمكن أن يكون فيه تفسير بعض المتشابه من القرآن المجيد.

وكيف كان.. فوجود كتاب يسمى بالجفر منسوب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) متسالم ومتفق عليه بين المسلمين الشيعة والسنّة.

والأرجح أن كتاب الجفر الأساسي المنسوب للإمام علي (ع) لا وجود له في زماننا هذا بين أيدي الناس يتداولونه..

وإنما يوجد بعض الكتب تسمّى بالجفر، وتباع في الأسواق، وتنسب إلى الإمام علي (ع)، ومن غير المعلوم صحة سندها إليه على الأظهر.. بل مشكوك في صحتها.. والله العالم[1].

---

١. هذا الباب : الجفر والجامعة ومصحف فاطمة منقول من كتاب "سيرة الرسول وخلفائه"، ج٥، من ص١١٧ إلى ص١٣٠، للسيد الوالد العلاّمة السيد علي فضل الله.

ملحق (٢) :

الأئمة (ع)

يروون عن

رسول الله (ص)

في أثناء كتابتي للأسطر الأخيرة لهذا البحث، وقبل تقديمه للطباعة، كانت تنعقد ندوة فكرية حول السلفية في بيروت، وهناك قام أحد كبار شيوخ السلفيين السنَّة بإلقاء محاضرته، وفي أثنائها قال : إن المسلمين الشيعة لا يروون عن رسول الله (ص)، بل يأخذون الحديث عن أئمتهم.

فأجابه أحد علماء الشيعة : بل يأخذون من رسول الله (ص)، ويروون عنه (ص)، وما أخذهم عن أئمتهم إلاّ لأنهم أفضل وأصدق وأصفى طريق إلى رسول الله (ص).

فقال الشيخ السلفي وهو كبير السن : الحمد لله، الآن طمأنتني.

ولا أريد أن أطيل في ما دار من نقاش وحديث، ولكن لفت نظري كلام هذا الشيخ، الذي أكاد أقطع أنه لم

يكون عن سوء نية، بل عن جهل وعدم اطلاع عما عند الشيعة في هذا المجال، خصوصاً بعد أن قال: "الحمد لله، الآن قد طمأنتني"، حيث يدل رد فعله العفوي هذا على نَفْسٍ طيّبة لكنها ضائعة تائهة، ويتمنى أن يكون ما سمعه عن الشيعة وهم فئة كبيرة من المسلمين، ولها علماء ومفكرين وفقهاء وإنجازات عظيمة، يتمنى أن لا يكون صحيحاً، ولمّا عرف عدم صحة ما أشيع عنهم عبَّر عن اطمئنانه وحمد الله على ذلك، ولعلَّ بعض أهل الفتنة قد خدعه.

وفي الفترة نفسها تقريباً، كنت أحاضر في الجامعة اللبنانية، وفي أثناء الأسئلة قامت إحدى الطالبات لتقول إن المسلمين الشيعة هم شيعة عليٍّ وأتباعه، ولهذا سُمُّوا شيعة، وهذا يعني أنهم يتبعون علياً (ع) ولا يتبّعون رسول الله (ص)؟!

فأجبتها: إنهم يتبعون رسول الله (ص)، وإذا اتبعوا علياً (ع) فإنما يفعلون ذلك امتثالاً لأمر رسول الله (ص)

الذي أمرنا بالتمسك بالعترة الطاهرة للحديث المتواتر: "**إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً...**"، ولغير هذا الحديث من أوامر الرسول الأكرم (ص) بذلك.

ولا أريد أن أسرد الأسئلة والأجوبة بعد ذلك، ولكن أعطتني هاتان الحادثتان وغيرهما انطباعاً أن جَوّاً موجوداً عند بعض شرائح المسلمين السنَّة يوحي بأن المسلمين الشيعة يتبعون الأئمة (ع) ولا يتبعون رسول الله (ص). طبعاً، جهلاً منهم بما عند الشيعة. وشعرت أن من واجبي أن أبيِّن هذه النقطة وزيفها، وذلك خدمة لوحدة المسلمين، ورفعاً للجهل والظلم، وقطعاً للأيدي الخبيثة التي تريد أن تعبث بالمسلمين وتجعل الحواجز بينهم من خلال أفكار خاطئة، ليتَّهم بعضهم الآخر بالبعد عن رسول الله (ص) والانحراف عن الإسلام؛ وليصبحوا بذلك جماعات جماعات، متنابذة، فتذهب

ريحهم، ويزول عزُّهم، ويخبو نور الإسلام في الأرض، وهو الدين الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

أئمة أهل البيت (ع) يروون عن رسول الله (ص)

إن أصفى طريق وأوثقه إلى رسول الله (ص) هو طريق أهل البيت (ع)، فهم محل إجماع المسلمين قدراً واخلاصاً وتقى وورعاً وعلماً وقداسة ونزاهة، ومن أراد التوسع فلينظر ماذا ذكر أصحاب السير في شأن علي بن أبي طالب والحسن المجتبى والحسين الشهيد وعلي بن الحسين زين العابدين ومحمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق وموسى بن جعفر الكاظم وعلي بن موسى الرضا ومحمد بن علي الجواد وعلي ابن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري والمهدي عليهم السلام أجمعين. إن من ينظر في شأن هؤلاء وما كتب عنهم يجد التبجيل والتعظيم والتقديس والتنزيه عند جميع المسلمين حتى نقل عن الإمام أحمد وهو يعلِّق

على حديث الإمام الرضا (ع) عن آبائه حين مرَّ بنيسابور : لو قرأ هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنته.

وأهل البيت (ع) خَزَنَة علم الأولين والآخرين، يروون عن رسول الله (ص) بسند محكم؛ وسأذكر بعض الروايات التي تدل على ذلك :

١. روي في الكافي عن علي بن محمد عن سهل بن زياد عن أحمد بن محمد عن عمر بن عبد العزيز عن هشام بن سالم وحمَّاد بن عثمان وغيره قالوا : "سمعنا الإمام الصادق (ع) يقول : "حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدِّي، وحديث جدِّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (ص)، وحديث رسول الله (ص) قوله الله عزّ وجل"[١].

---

١. وسائل الشيعة، ج١٨، ب٨ من أبواب صفات القاضي، ح٢٦.

٢. روى محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد) [١] في مجالسه عن جعفر بن محمد بن قولويه عن أحمد بن محمد عن عيسى بن هارون بن مسلم عن ابن أسباط عن سيف بن عميرة عن عمرو بن شمر عن جابر قال : قلت للإمام الباقر (ع) : إذا حدثتني بحديث فأَسْنِدْه لي. فقال (ع) : "**حدثني أبي عن جدِّي عن رسول الله (ص) عن جبرئيل عن الله تبارك وتعالى، وكلما أحدثك بهذا الإسناد**"، وقال (ع) : "**لَحَديث واحد تأخذه عن صادق خير لك من الدنيا وما فيها**"[٢].

٣. روى محمد بن الحسن بن فرُّوخ الصفَّار القمّي قال : حدثنا أحمد بن محمد عن البرقي عن إسماعيل بن مهران عن سيف بن عميرة عن أبي المعزا عن سماعة عن أبي الحسن (الإمام علي بن موسى الرضا (ع))،

---

١. وهو من كبار علماء الشيعة وأستاذ علم الهدى الشريف المرتضى والشيخ الطوسي.

٢. وسائل الشيعة، ح١٨، باب ٨ من أبواب صفات القاضي، ص٦٧.

قال : قلت له : كل شيء تقول به في كتاب الله وسنَّة نبيِّه أو تقولون فيه برأيكم؟ قال (ع) : "**بل كل شيء نقوله في كتاب الله وسنَّة نبيِّه**"[1].

٤. روي في كتاب الاختصاص عن حمزة بن يعلى عن أحمد بن النضر عن عمرو بن شمر عن جابر عن الإمام الباقر (ع) قال : "يا جابر إنّا لو كنّا نحدِّثكم برأينا وهوانا لكنَّا من الهالكين، ولكنَّا نُحدِّثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله (ص) كما يكنز هؤلاء ذهبهم وورقهم"[2][3].

روى في الاختصاص عن ابن يزيد وابن هشام عن ابن أبي عمير عن إبراهيم بن عبد الحميد عن الثمالي عن أبي جعفر (ع) قال : قال علي (ع) : لقد

---

١. بصائر الدرجات، ج٦، باب ١٥، ص٣٠١، ح١.
٢. بصائر الدرجات، ج٦، باب ١٥، ص٣٠١، ح١.
٣. الورق: الفضة.

علَّمني رسول الله (ص) ألف باب يفتح كل باب ألف باب"[1].

٦. روي في بصائر الدرجات عن ابن عيسى عن الأهوازي عن بعض أصحابه عن أحمد بن عمر الحلبيّ عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبد الله (ع) فقلت له : "إن الشيعة يتحدَّثون أن رسول الله (ص) علَّم علياً باباً يفتح منه ألف باب، فقال أبو عبد الله (ع) : يا أبا محمد، علَّم والله رسول الله (ص) ألف باب يفتح له من كل باب ألف باب.

٧. روي في بصائر الدرجات عن علي بن إسماعيل عن علي بن النعمان عن سويد عن أبي أيوب عن أبي بصير عن أبي جعفر (ع) قال : "**كنت عنده فدعا بالجامعة فنظر فيها جعفر (ع) فإذا هو فيها :**

---

١. بحار الأنوار، ج٢٦، ص٢٩، كتاب الإمامة، باب جهات علومهم (ع) وما عندهم من الكتب، ح٣٦، نقلاً عن كتاب الاختصاص.

المرأة تموت وتترك زوجها ليس لهـا وارث غيـره؟ قال : فله المال كلّه"[1].

٨. روى الشيخ الطوسي في الأمالي عن أحمد بن محمد بن علي الباقر (ع) عن آبائه قال : قال رسول الله (ص) لعليّ : **"أكتب، أُملي عليك، قال : يـا نبـي الله، أتخاف عليَّ النسيان؟! قال (ص) : لست أخاف عليـك النسيان، وقد دعوتُ الله لك أن يحفظـك ولا ينسـيك، ولكن أكتب لشركائك؛ قال : قلت : ومن شركائي يا نبي الله؟ قال (ص) : الأئمة من ولدك، بهم تسـقى أمَّتـي الغيث، وبهم يستجاب دعاؤهم، وبهم يصرف الله عنهم البلاء، وبهم نزّل الرحمة من السـماء. وأومـأ إلـى الحسن (ع) وقال : هذا أولهم، وأومأ إلى الحسين (ع) وقال : الأئمة من ولده"[2].**

---

١. بحار الأنوار، ج٢٦، ص٢٥، باب جهات علومهم (ع)، ومـا عنـدهم مـن الكتب، ح٢٤.

٢. أمالي الشيخ الطوسي، ج٢، ص٥٦، طبعة النجف ١٣٨٤هـ.ق.

وهذه الروايات كلها واضحة الدلالة على أن ما يرويه أئمة أهل البيت (ع) فهو عن رسول الله (ص)، كما أن الروايات تضافرت بل تواترت على أن خلفاء رسول الله هم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش، ومن أراد فلينظر كتب الحديث عند جميع المسلمين ليتبيَّن له ذلك[1].

---

١. نذكر بعض الروايات، منها: ما رواه نعيم بن حمّاد المروزي : حدثنا أبو معاوية عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن جابر بن سمرة (رض) قال : قال رسول الله (ص) : "**لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى إثني عشر خليفة كلهم من قريش**" (كتاب الفتن، ص٥٢).

وعن الإمام أحمد بن حنبل حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبي، حدثنا داود عن عامر قال : حدثني جابر بن سمرة السوائي قال : خطبنا رسول الله (ص) فقال : "**إن هذا الدين لا يزال إلى اثني عشر خليفة**". قال ثم تكلم بكلمة لم أفهمها فضجَّ الناس فقلت لأبي ما قال؟ قال : "**كلهم من قريش**".

وفي مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٣٩٨ حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن زيد عن المجالد عن الشعبي عن مسروق قال : كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرؤنا القرآن فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله (ص) كم تملك هذه الأمّة من خليفة؟ فقال عبد الله بن مسعود : ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك؛ ثم قال : اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل.

ومن أراد التوسع فقد جمعها كتاب "الحجة على البشر" للشيخ محمود قانصوه، طبعة دار المدى، بيروت، لبنان.

وأختم الكلام في هذه النقطة بهذا الحديث : روي في المجالس عن الحسين بن أحمد بن إدريس عن أبيه عن محمد بن أحمد عن محمد بن علي عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن آبائه عن علي (ع) قال : "**قال رسول الله (ص) : اللهم ارحم خلفائي، قيل: يا رسول الله ومَن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنّتي ثم يعلّمونها**"[1].

وأترك للقارئ التأمل في هذه الروايات وما يستفاد منها في دحض ما يشاع من أنَّ المسلمين الشيعة لا يروون عن رسول الله (ص). والحقيقة أن المسألة لا تحتاج إلى بيان، والإشاعة لا تحتاج إلى كتابة ردّ، وإنما دفعني إلى كتابة هذه الأسطر حرصي وغيرتي على وحدة المسلمين، وكي لا يتفاقم الأمر، ويفرح الذي في قلبه مرض، وتتعمق الأكذوبة وتتجذر في نفوس بسطاء

---

١. وروي في معاني الأخبار بأسانيد أخرى، أنظر وسائل الشيعة، ج١٨، ص٦٦، باب ٨ من أبواب صفات القاضي، ح٥٠، وح٥٣.

الناس، قمت بهذا البيان راجياً من الله تعالى الأجر والثواب يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

المحتويات

مقدمة ٥

فهرس البحث ١١

الفصل الأول :

الروايات التي يتوهم منها النقص في

كتب السنَّة ١٣

الفصل الثاني :

الروايات التي يتوهم منها النقص في

كتب الشيعة ٢٣

الفصل الثالث :

ما استدل به على عدم نقص القرآن ٣٥

الفصل الرابع :

ما يحتمل من الأدلة التي توهم نقص القرآن

ومناقشتها ٥٥

الفصل الخامس :

تخريج الروايات التي يتوهم منها النقص عند

من لا يقول به عند السنَّة ٧٣

الفصل السادس :

تخريج الروايات التي يتوهم منها النقص عند

من لا من يقول به عند الشيعة ٨١

الفصل السابع :

لماذا أدرج أصحاب كتب الحديث الروايات التي

يتوهم منها النقص مع عدم قولهم به..... ٩٧

تخريج عبارة "ما تركت من الصحيح أكثر" .. ١٠٧

الفصل الثامن :

هل يقتضي نقل الروايات الموهمة للنقص

الحكم بكفر وكذب الناقل ١١٣

ملحق (١) : مصحف فاطمة والجفر والجامعة ١٢١

الجفر .. الجامعة.. ومصحف فاطمة..... ١٢٥

فاطمة الزهراء (ع) محدَّثة ليست نبية

ولا مرسلة..... ١٣٥

بحث وتدقيق حول الجفر.. ومصحف فاطمة .. ١٤٢

ملحق (٢) : الأئمة (ع) يروون عن رسول الله (ص) ١٤٩